


ذو القعدة ١٤٠٣هـ أغسطس/سبتمبر ١٩٨٣م

الشركة الوطنية السعودية للنقل البحري

بسم الله الرحمن الرحيم

# القافلة

- جميع المراسلات باسم رئيس التحرير.
- كل ما ينشر في القافلة يعبر عن آراء الكتاب أنفسهم ولا يعبر بالضرورة عن رأي القافلة أو عن اتجاهها.
- يجوز إعادة نشر المواضيع التي تظهر في القافلة دون إذن مسبق على أن تذكر كمصدر.
- لا تقبل القافلة إلا المواضيع التي لم يسبق نشرها.

العدد الحادي عشر المجلد الحادي و الثلاثون

ذو القعدة ١٤٠٢هـ أغسطس/ سبتمبر ١٩٨٢م

تصدر شهرياً عن شركة ارامكو لموظفيها
ادارة العلاقات العامة

العنوان

صندوق البريد رقم ١٣٨٩
الظهران - المملكة العربية السعودية

توزع مجاناً

المدير العام : فيصل محمد البسام

المدير المسؤول : إسماعيل ابراهيم نواب

رئيس التحرير : عبدالله حسين الغامدي

المحرر المساعد : عوني ابو كشك

صورة الغلاف :



تصميم وطباعة شركة مطابع المطوع - الدمام
DESIGNED AND PRINTED BY AL-MUTAWA PRESS CO. - DAMMAM





١٠ الشركة الوطنية السعودية للنقل البحري



٢٢ أرامكو تجري المسابقة السنوية الرابعة للأطفال في الرسم





د. أحمد جمال العمري / القاهرة


القرآن الكريم مصدر الشريعة الإسلامية السمحة ، وهو دستورها القائم أبد الدهر ، لقد استغنى به المسلمون في الصدر الأول للإسلام فأغناهم عن كل شيء ، لا يمدون أبصارهم إلى غيره ، ولا يأخذون لدينهم ودنياهم إلا بما توحي به إليهم كلماته ، وتومىء به إليهم آياته ، ولا يستقيم هذا القول الذي نقوله .. بأن القرآن هو مصدر التشريع الإسلامي — إلا بفهم صحيح سليم لكتاب الله . ولا يكون هذا الفهم الصحيح السليم ، إلا عن طول تدبر لكتاب الله ، ووقوف على أسرار اعجازه ، وبهذا الفهم لكتاب الله يتحقق لنا امران :

**أولهما :** تصوير مسائل الدين تصويرا واضحا دقيقا محددا ، وبهذا يعرف المسلم الحكم قاطعا فيما أحل الله وما حرم الله .

**وثانيهما :** جعل مسائل الدين واقعة في مفهوم المسلمين ، واضحة في تصورهم ، وإن لم يكن ذلك لهم جميعا ، فللجمهرة العظمى فيهم ، حيث تعرض مسائل الدين في كلمات يسيرة مفهومة لا تتجاوز آية كريمة من آيات الله ، وبهذا يتصل المسلم بدينه اتصالا مباشرا .

لقد نظر القرآن إلى المجتمع الانساني نظرة سمتها الشمول والموضوعية والتكامل في آن واحد . فالمجتمع وحدة كاملة متكاملة لبنتها الفرد ، لذلك بدأ القرآن بتربية هذا **الفرد** ، وأقام أسس هذه التربية على دعائم من تحرير وجدانه .. يحرر القرآن وجدان المسلم **بعقيدة التوحيد** ، التي تخلصه من أدران الوهم ، وسلطان الخرافة ، وحتى يكون في مجتمعه عبدا خالصا لله ، متجردا من كل شيء إلا عبادة الواحد المعبود .

لذلك يضع القرآن الأسس الكفيلة لذلك ، فلا حاجة للمخلوق إلا لدى الخالق ، الذي له الكمال المطلق ، والذي يهب الحياة ، ويمنح الخير للخلائق كلها . انه خالق واحد ، واله واحد ، لا أول له ولا آخر قدير على كل شيء .. عليم بكل شيء ، محيط بكل شيء ، ليس كمثله شيء ، وهذه هي العقيدة الكاملة في العقل وفي الدين .

— **« قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد » (١)**

— **« هو الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، وهو بكل شيء عليم » (٢)**

— **« كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون » (٣)**

— **« ذلكم الله ربكم لا إله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه » (٤)**

ولما كان القرآن من لدن الواحد الأحد ، فلابد أن يؤكد وحدانيته — جل وعلا — بالحجج القاطعة التي لا ترد ، والتي تعتمد على المنطق العقلي السليم ، ولا تقبل الجدل .

— **« لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا . فسبحان الله رب العرش عما يصفون » (٥)**

— **« قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا ، سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا » (٦) .**

هذا هو لب العقيدة الإسلامية : **التوحيد** . فاذا صحت عقيدة الفرد ، كان عليه أن يأخذ بكل شرائع القرآن .. فرائض .. وعبادات .

**فالصلاة ..** عماد الدين ، ومن أقامها فقد أقام الدين ، والصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وصلاة الجماعة واجبة — على الرأي الأرجح إلا لعذر ، وهي شرط في الجمعة والعيدين ، والذي يصلي منفردا لا يغيب عن شعوره آصرة القربى بينه وبين الجماعة الإسلامية في أقطار الأرض ، فهو يعلم أنه في تلك اللحظة يتجه وجهة واحدة مع كل مسلم على ظهر الأرض ، ويستقبل معه قبلة واحدة ، ويدعو بدعاء واحد ، وان تباعدت الديار والأقطار .

**والزكاة :** حق واجب ، تقتلع من النفوس جذور الشح ، وعبادة المال ، والحرص على الدنيا ، لمصلحة الجماعة الإسلامية . وأداء الزكاة يرسي دعائم التعاون بين المجدودين والمحرومين ، فيشعر الفرد بتكامل الجماعة .

**والصيام :** رياضة روحية ، قصد بها التحكم وضبط النفس ، وتقوية الإرادة ، والسيطرة على الشهوات ، ثم انه مظهر اجتماعي ، يعيش فيه المسلمون من أقصى الأرض إلى أدناها شهرا كاملا ، على نظام واحد في طعامهم ، كما تعيش الأسرة الواحدة في البيت الواحد .

**والحج :** اجتماع وتعارف وتشاور ، ثم هو سياحة دينية تروض النفس على تحمل المشاق ، وتفتح بصيرتها على أسرار الله في خلقه

كل ذلك يربي الفرد المسلم على الشعور بالانتماء الى المجتمع الاسلامي الكبير ، ويشعره بالتبعية التي يقررها القرآن ، وينوط بها كل تكليف من تكاليف الدين ، وكل فضيلة من فضائل الأخلاق ..

— **« كل نفس بما كسبت رهينة » (٧)**

— **« كل امرىء بما كسب رهين » (٨)**

— **« لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » (٩)**

وليست العبادات وحدها التي حث عليها القرآن ، فقد حث أيضا على مجموعة من المثل والقيم ، والفضائل العليا التي تربي النفس على الوازع الديني .. كالصبر والصدق ، والعدل والاحسان ، والحلم والعفو ، والتواضع والكرم الى غير ذلك .

— ومن تربية الفرد — اللبنة الأولى — ينتقل القرآن الى **بناء الأسرة** ، تمهيداً لاقامة المجتمع ، والأسرة في نظر القرآن نواة المجتمع ، ودعامة بنائه . لذلك شرع القرآن الزواج ، استجابة لنوازع الفرد ، وابقاء على النوع الانساني في تناسل طاهر منظم يحفظ الأنساب .

وتقوم الرابطة الأسرية في الزواج على دعائم قوية من المودة والرحمة ، والسكينة وراحة النفس ، والمعاشرة بالمعروف ، والألفة بين الزوجين ، ومراعاة خصائص الرجل والمرأة ، والوظيفة الملائمة لكل منهما ..

— **« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة » (١٠)**

— **« وعاشروهن بالمعروف » (١١) .**

— **« الرجال قوّامون على النساء بما فضّل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم (١٢)**

— ومن الخلية الأولى وهي الأسرة ، ينتقل القرآن الى بناء **المجتمع الاسلامي** كله .. فنجد أن القرآن قد حدد نظام الحكم ، وأرسى قواعد الحكومة الاسلامية في أصلح أوضاعها ..

**فهي حكومة تقوم على الشورى ..**

— **« وشاورهم في الأمر » (١٣)**

— **« وأمرهم شورى بينهم » (١٤)**

ولا أثر في الحكومة الاسلامية للأثرة والسيطرة الفردية .. **« انما المؤمنون اخوة » (١٥)** بل هي حكومة تقوم على العدل المطلق ، الذي لا يتأثر بحب الذات أو العوامل الاجتماعية في الغنى والفقر .

— **« يا أيها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ، ان يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وان تلووا أو تعرضوا ، فان الله كان بما تعملون خبيرا » (١٦).**

— ثم ان التشريع الاسلامي — كما حدده القرآن — ليس متروكا لاجتهاد الحاكم ولي الأمر ، بل هذا التشريع قرره القرآن وألزم به ، واعتبر الخروج عليه كفراً وظلما وفسقا .

— **« ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون »**

— **« ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون »**

— **« ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون » (١٧)**

— **« أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون » (١٨)**

— ومن اروع آيات الاعجاز التشريعي للقرآن **صيانته للحريات ، وحمايته للكليات الخمس الضرورية** لحياة الانسان .. « النفس والدين ، والعرض ، والمال ، والعقل » ورتب عليها العقوبات المنصوصة ، التي عرفت في الفقه الاسلامي بالحدود .

— **« ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب » (١٩)**

— **« الزانية والزاني فاجلدوا كلّ واحد منهما مائة جلدة » (٢٠)**

— **« والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة » (٢١) .**

— **« والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا » .**

هذه آية من آيات الاعجاز القرآني .. اعجاز في التشريع ، لقد كان من تدبير اللطيف الخبير اقامة شريعة الاسلام ، وجعلها خاتمة الشرائع ، وكمال كمالاتها .

لقد جعل الحكيم العليم مفاهيم هذه الشريعة في كلمات ، وجعل هذه الكلمات معجزات ، فحيث نظر ناظر كتاب الله في بقلب سليم ، ونفس مجتمعة ، وجد وراء كل آية معجزة أو معجزات يرى في منطوقها المعنى الذي جاءت له ، والشرع الذي دعت اليه ، وبهذا يتلقى المسلم أحكام شريعته على أضواء معجزات مشرقة نيّره ، تغمر بنورها الآفاق كلها من حوله فلا يرى الا نورا علوياً يشرح صدره للحق ويفتح قلبه للايمان .

لذلك .. سيظل لدستورنا التشريعي العظيم الجلال والرفعة على مر الأزمان والأجيال ، بالرغم من تحديات النظريات والمذاهب ، والنظم والتشريعات ، التي يضعها البشر من أجل سعادة الانسان والمجتمع .. سيظل للقرآن العظيم مكانته وجلاله واعجازه ، ولن يبلغ واحد من هذه المذاهب أو النظم مبلغه في اعجازه التشريعي من أجل سعادة البشرية جمعاء □

---

( ١ ) سورة الاخلاص .
( ٢ ) سورة الحديد / ٣ .
( ٣ ) سورة القصص / ٨٨ .
( ٤ ) الأنعام / ١٠٢ .
( ٥ ) الأنبياء / ٢٢ .
( ٦ ) الاسراء / ٤٢ .
( ٧ ) المدثر / ٣٨ .
( ٨ ) الطور / ٢١ .
( ٩ ) البقرة / ٢٨٦ .
( ١٠ ) الروم / ٢١ .
( ١١ ) النساء / ١٩ .
( ١٢ ) النساء / ٣٤ .
( ١٣ ) آل عمران / ١٥٩ .
( ١٤ ) الشورى / ٣٨ .
( ١٥ ) الحجرات / ١٠ .
( ١٦ ) النساء / ١٣٥ .
( ١٧ ) المائدة / الآيات ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧ على الترتيب .
( ١٨ ) المائدة / ٥٠ .
( ١٩ ) البقرة / ١٧٩
( ٢٠ ) النور / ٢ .
( ٢١ ) النور / ٤ .

# حركة الاستقلال في الدولة العباسية

د. محمد مسفر حسين الزهراني / الرياض

من أوجه الاختلاف البارزة بين العصر العباسي الأول والعصر العباسي الثاني ظهور عنصر جديد على مسرح الأحداث في الدولة وهو العنصر التركي وانتقال الدولة من المركزية الى اللامركزية في نظام الحكم نتيجة لقيام دول مستقلة اما استقلالا كاملا ، أو استقلالا ذاتياً مع الاعتراف بسلطان الخلافة .

لما ولي المعتصم بالله الخلافة سنة ٢١٨ هـ / ٨٣٣ م ، استعان بالاتراك في دولته وأخذ في جلب أعداد كبيرة منهم ، وأسند اليهم أهم المناصب العسكرية والمدنية ، فقوي شأنهم ، وازداد نفوذهم ، وحلوا محل العنصر الفارسي في أعمال الدولة العباسية ، ولم يمض وقت قصير حتى تمكن زعماء الأتراك من الاستبداد بشؤون الدولة ، والتسلط على الخلفاء ، فضاعت هيبة الخلافة ، وفقد الخليفة ما كان يتمتع به من هيبة وتقدير واحترام في الفترة السابقة . ففي عهد المعتصم بالله وصل أحد الأتراك ويدعى أشناس (١) الى مرتبة القائد العام للجيش العباسي (٢) . كما عين المعتصم بالله تركياً آخر يدعى ايتاخ (٣) والياً على بلاد اليمن (٤) .

وفي عهد الخليفة الواثق بالله ( ٢٢٧-٢٣٢هـ / ٨٤٢-٨٤٦ م ) ، احتل قواد الاتراك مكانة بارزة في الدولة العباسية ، حتى أن هذا الخليفة جعل القائد أشناس في سنة ٢٢٨ هـ / ٨٤٣ م والياً على جميع الأقاليم الممتدة من سامراء الى بلاد المغرب ، كما أسند الى القائد ايتاخ حكم الولايات الشرقية من الدولة العباسية ، وقاعدتها خراسان (٥).

ازداد النفوذ التركي حدة بعد وفاة الخليفة الواثق بالله ، واستأثر قواد الاتراك بالسلطة ، وهيمنوا على الدولة ، وأخذوا يتدخلون في شؤونها ، فأثار هذا النفوذ المتزايد قلق الخليفة المتوكل على الله ( ٢٣٢-٢٤٧ هـ / ٨٤٦ - ٨٦١ م ) وعزم على وضع حد له عن طريق التخلص من كبار قواد الأتراك . ومع أن هذا الخليفة نجح في القضاء على أكبر أولئك القواد وهو ايتاخ (٦) الا أنه فشل في استعادة سلطة وهيبة الخلافة ، وذهب في نهاية الأمر ضحية لمؤامرة دبرها ونفذها الأتراك (٧) .

وبعد مقتل الخليفة المتوكل على الله استفحل النفوذ التركي وأصبح لدى القواد الأتراك من السلطة والقوة ما جعلهم قادرين على التدخل المباشر في عزل وتعيين الخلفاء وذلك وفقاً لاهوائهم ومنافعهم الشخصية . وواجه خلفاء بني العباس الذين تعاقبوا على منصب الخلافة في السنوات من ٢٤٧ هـ / ٨٦١ م الى سنة ٢٥٦ هـ / ٨٦٩ م نفس مصير المتوكل ، فتوفي الخليفة المنتصر بالله مسموماً بعد ستة شهور فقط من توليه الخلافة (٨) . أما الخليفة المستعين بالله فقد كان خلال فترة خلافته ( ٢٤٨-٢٥٢هـ / ٨٦٢-٨٦٦ م ) ألعوبة في يد قواد الأتراك ، ولم يكن في مقدوره أن يبت في أمر من أمور الدولة الا بعد موافقتهم عليه (٩) . ويذكر الطبري أن هذا الخليفة أطلق يد الأتراك في بيوت مال الدولة ، فنهبوها ، فتسبب هذا في وقوع الخلافة في أزمة مالية حادة .

وفي عهد الخليفة المستعين بالله ، انقسم الأتراك على أنفسهم ، وأخذوا يتنافسون على السلطة ، وهاجم بعضهم قصر الخلافة في العاصمة سامراء ، فهرب المستعين بالله مع القائدين التركيين « وصيف » و « بغا » الى مدينة بغداد خوفاً على أنفسهم ، فأحضر الأتراك المعتز بالله ، وبايعوه بالخلافة فأدى هذا الى قيام حرب أهلية بين المستعين بالله وبين منافسة على الخلافة المعتز بالله ، واستمرت لمدة عام ، فزادت أحوال الدولة العباسية سوءا ، واستفحلت الأزمة المالية ، وعجزت الادارة المركزية عن ضبط أمور الأقاليم التابعة لها ، وبالتالي أخذ نفوذ الخلافة ينحسر شيئاً فشيئاً عن كثير من تلك الأقاليم . وتمخضت الحرب عن خلع المستعين بالله وقتله ، واستقرار الخلافة لمنافسه المعتز بالله (١٢) .

وبعد مضي ثلاث سنوات من خلافة المعتز بالله ، ثار الاتراك مطالبين بالأموال . ولما لم يتمكن هذا الخليفة من تحقيق مطالبهم للعجز الواقع في بيت المال ، قبضوا عليه ، وضربوه ضرباً مبرحاً وأقاموه في الشمس الملتهبة ، ومنعوا عنه الطعام والشراب ، وفي النهاية وضعوه في سرداب ، وبنوا عليه فمات (١٣) . ويذكر المسعودي (١٤) ان الاتراك خلعوا المعتز بالله من الخلافة ، ثم قتلوه في محبسه بعد ستة أيام من خلعه .

أما الخليفة الزاهد المهتدي بالله ( ٢٥٥-٢٥٦هـ / ٨٦٨-٨٦٩ م ) فقد أخذ يعمل منذ توليه الخلافة على اصلاح الأوضاع المتردية للدولة العباسية واستعادة هيبة الخلافة (١٥) ، الا أن ظروف الدولة السيئة حالت دون ذلك .

واتبع هذا الخليفة سياسة «فرق تسد» في معاملته للاتراك، وحاول الايقاع بين قوادهم (١٦) لاضعافهم، ومن ثم التخلص من شرورهم، ولكنهم تنبهوا لحيلته، وثاروا عليه، فلقي حتفه وهو يخوض معركة حامية ضدهم، وكان المهتدي بالله يطرف شوارع وطرقات مدينة سامراء، وهو يعلق مصحفاً في عنقه ويدعو الناس لنصرته والوقوف الى جانبه في وجه الأتراك، ولكن دون فائدة فقبض عليه الأتراك وطلبوا منه أن يخلع نفسه من الخلافة فرفض، فقتلوه (١٧).

اختل توازن الدولة العباسية نتيجة لاستفحال نفوذ الاتراك، وفقدت الهدوء والاستقرار وأصبحت مسرحاً للفوضى والقلاقل والاضطرابات السياسية، وأخذت العناصر التي غلبت على أمرها، وفقدت ما كانت تتمتع به من امتيازات في العصر العباسي الأول (الفرس والعرب)، تعمل على استرداد مكانتها ونفوذها في الدولة،

ونجح الفرس في الاستقلال ببعض أقاليم الدولة العباسية في شرق الدولة الاسلامية، وأقاموا بها دولا مستقلة عن الخلافة.

يمثل المشرق الاسلامي الركيزة التي استندت عليها الدولة العباسية، واستمدت منها قوتها، فالدعوة العباسية قامت أصلاً في المشرق، والتف الناس هناك حولها وآزروها حتى كتب لها النجاح وقامت دولة بني العباس، وهذا يفسر المكانة المتميزة التي احتلها الفرس في الدولة العباسية في عصرها الأول. فلما تغلب الأتراك على الدولة واستأثروا بالنفوذ والسلطة فيها، نقل الفرس نشاطهم الى المشرق، وأقاموا لهم به دولا مستقلة هي الدولة الصفارية (٢٥٤–٢٩٠هـ/ ٨٦٧–٩٠٣م) والدولة السامانية (٢٦١–٣٨٩هـ/ ٨٧٤–٩٩٩م)، هذا فضلا عن الدولة الطاهرية التي نجح طاهر ابن الحسين وابناؤه وهم من الفرس، في اقامتها في مطلع القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) في شرق الدولة الاسلامية كما نجح العلويون في اقامة دولة لهم بطبرستان سنة (٢٥١هـ/ ٨٦٥م).

ويلاحظ أن الدولة الصفارية قامت على أنقاض الدولة الطاهرية كما أزال السامانيون بعد ذلك الدولة الصفارية من الوجود، واستولوا على البلاد التابعة لها. ثم سقطت الدولة السامانية بدورها في أواخر القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) وحلت محلها الدولة الغزنوية التي آل إليها حكم جزء كبير من أقاليم المشرق الاسلامي. وفي أوائل القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) ظهر السلاجقة وحلوا محل الغزنويين في الحكم كما سيمر بنا خلال هذا العرض التاريخي عن حركة الاستقلال في المشرق الاسلامي.

## الدولة الطاهرية:

مؤسس هذه الدولة هو طاهر بن الحسين بن مصعب بن رزيق، كان جده مصعب بن رزيق كاتباً للداعية العباسي سليمان بن كثير الخزاعي ثم أصبح والياً لمرو وهراة (١٨). كما كان والده الحسين بن مصعب في خدمة الخليفة العباسي هارون الرشيد (١٩). ويعتبر طاهر بن الحسين من كبار قواد الخليفة المأمون الذين يثق بهم ويعتمد عليهم في مهام الأمور. وقد لعب هذا القائد دوراً مهماً وبارزاً في النزاع الذي دار بين الأمين والمأمون على منصب الخلافة، فاشتهر أمره وذاع صيته، وحفظ له المأمون هذه الخدمة. وفي سنة ١٩٨هـ/ ٨١٣م جعل المأمون طاهر بن الحسين والياً على الموصل والجزيرة والشام والمغرب (٢٠). وفي سنة ٢٠٥هـ/ ٨٢٠م أسند المأمون الى طاهر بن الحسين أعمال الجزيرة والشرطة والاشراف على السواد (٢١). وفي العام نفسه، أصبح طاهر بن الحسين والياً على المشرق الاسلامي من مدينة السلام «بغداد» الى أقصى المشرق (٢٢).

وطد طاهر بن الحسين نفوذه في خراسان، قاعدة المشرق الاسلامي وجعل مدينة نيسابور حاضرة لامارته، وما لبث أن استقل الى حد كبير بحكم خراسان الا انه كان حريصاً على طاعة الخلافة وتنفيذ أوامرها وأداء الخراج عن الأقاليم التابعة له، ولكنه ما لبث أن أسقط اسم الخليفة المأمون من الخطبة في سنة ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م (٢٣) وربما كان ذلك بدافع من رغبته في الاستقلال نهائياً عن الدولة العباسية، فاعتبر الخليفة العباسي المأمون هذا العمل من قبل طاهر خروجاً على الطاعة (٢٤). ولما توفي طاهر بعد هذه الحادثة بقليل، وقيل أنه مات مسموماً بتدبير من الخليفة المأمون (٢٥)، وافق الخليفة على أن يخلف طلحة بن طاهر أباه في أعمال المشرق (٢٦). ويذكر بعض المؤرخين أن الخليفة عهد بهذه الولاية لعبدالله بن طاهر، ولما كان عبدالله مشغولا بمحاربة نصر بن شبث العقيلي الثائر على المأمون، فقد أناب عنه في ولاية المشرق أخاه طلحة (٢٧)، فبقي طلحة يحكم هذه المنطقة مدة سبع سنوات، ثم توفي سنة ٢١٣هـ/ ٨٢٨م وال الحكم لأخيه عبدالله ابن طاهر.

يعتبر عبدالله بن طاهر أكثر أفراد الأسرة الطاهرية شهرة، وأرفعهم شأناً بعد والده طاهر بن الحسين، وكان مقربا من الخليفة المأمون ومحلا لثقته (٢٨)، وقد اعتمد عليه المأمون في ادارة دولته، واخماد الثورات المناوئة لها، فنجح في ذلك. وكان أول منصب يتولاه عبدالله بن طاهر هو رئاسة حرس الخليفة (٢٩). وفي سنة ٢٠٥هـ/ ٨٢٠م أصبح رئيساً للشرطة بالعاصمة بغداد (٣٠). وفي السنة التالية أسند المأمون الى عبدالله بن طاهر حكم بلاد الشام ومصر (٣١). وفي سنة ٢١٣هـ/ ٨٢٨م عقد الخليفة لعبدالله بن طاهر على كور الجبال وأرمينية وأذربيجان (٣٢)، ولكنه عندما علم باستفحال خطر الخوارج في نيسابور بعد وفاة طلحة ابن طاهر، أمره بالتوجه حالا الى خراسان لضبط أمورها، فسار عبدالله بن طاهر الى خراسان واستقر بها (٣٣).

أخذ أفراد الأسرة الطاهرية يتوارثون ولاية المشرق الاسلامي واحداً بعد آخر، وبلغ نفوذ هذه الاسرة ذروته في عهد عبدالله بن طاهر، بحيث أصبح من الصعوبة بمكان ازالة حكم الطاهريين من خراسان. ومع أن الخليفة العباسي المعتصم بالله كان لا يميل الى عبدالله بن طاهر واسرته (٣٤). الا أنه لم يثبت أن هذا الخليفة حاول أن يعزل عبدالله بن طاهر من عمله، وذلك — فيما يبدو — لمعرفته بقوة نفوذه وطاعة الناس له في اقليم خراسان، كما يظهر من هذا النص التاريخي:

«وكان عبدالله بن طاهر قد ضبط خراسان ضبطاً ما ضبطه أحد مثله ودانت له البلاد، واستقامت عليه الكلمة» (٣٥).

ولما توفي عبدالله بن طاهر سنة ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م، آلت زعامة الدولة الطاهرية الى ابنه طاهر بن عبدالله بن طاهر، ثم الى ابنه محمد ابن طاهر ابن عبدالله في سنة ٢٤٨هـ/ ٨٦٢م وهو آخر أفراد الأسرة الطاهرية في المشرق.

ومع أن الدولة الطاهرية تمتعت بنفوذ داخلي كبير في المشرق، وخاصة في خراسان، الا أن أمراء الطاهريين الذين تعاقبوا على السلطة لم يحاولوا الانفصال نهائياً عن الخلافة العباسية، بل كانوا على صلة وثيقة بها، وظلوا أوفياء لها، وقدموا للخلفاء العباسيين أجل الخدمات وتصدوا للخارجين عليهم، وشاركوا مشاركة فعالة في توجيه سياسة الدولة وادارة شؤونها □

# قبس من نار الهوى

شعر: فهد بن علي النفيسة/أمريكا

يا نارَ الشوق على كبدي ذهبتْ حرقاتُك بالجلَدِ
وحسبتُ الدمعَ يفيد بها فتولى الدمعُ ولمْ أفدِ
وأضعتُ الأمسَ بها ولها فأضاعتْ فيه رجاءَ غدي
ومضيتُ أهيمُ بها أمداً حتى أنفقتُ بها أمدي
يا نار الشوق صدرتُ بها أملاً في الوردِ ولم أردِ
وبقيتُ أكابدُ حرقتَها موفور الحسرةِ والكمدِ
لا ليليَ أفلتَ من يدِها أو صبحي أصبحَ ملكَ يدي
يا نارَ الشوقِ على مهلٍ رحماكِ بقلبي المتقدِ

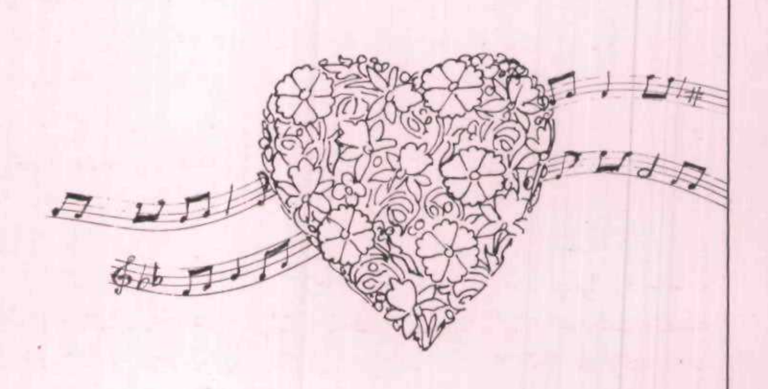
• • •

يا نارَ الفتنة في عصبي لهباً يتقدُ على لهبِ
ما بالُ العاشقِ تقتله خطراتِ الحسن بلا سببِ
ما بال الشوقِ يلازمني وأنا في الحبِّ بلا أربِ
وجميلُ هواي غدا قلباً كمداً موكولاً بالعطبِ
ما بالُ سعيركِ يسلبني ومضات الروح ولم يَهَبِ
أجريتُ لظاكِ سنا أدبٍ فبقيتِ وضاعَ سنا أدبي
يا نار الفتنةِ رحماكِ جاوزتِ حد الفتنة بي

• • •

يا نار الوجد بأحشائي ذهبَ الوجدانُ بآرائي
فارقتُ هواي وما برحتْ في القلبِ مطالبُ أهوائي
وطرحتُ الحلم وما زالتْ آمالُكُ تثقلُ أعبائي
يا نارِ الوجدِ أرقتُ بها محموماً أسألُ عن دائي
حيرانَ القلبِ تطاردني أوهام ملأتْ أرجائي
مقروح الكبد تعذّبني أواجعٌ تجري بدمائي
رحماكِ انّي هلكتُ جوىً فيّ الحب وطالتْ أدوائي





# صفحات من تاريخ المسلمين في اسبانيا وفرنسا

اعداد : عبداللطيف قباني / الدمام

لنقف لحظة مع طارق بن زياد ، ولنلتفت الى البحر لنرى سفنه تتأجج ناراً حتى يقطع على رجاله كل أمل في النجاة ، وحتى يقرن قوله بفعله مخاطباً اياهم : بأن ليس لهم الا الصبر والصدق فاما النصر واما الشهادة ، ثم نرد اليه والى رجاله الطرف فنجدهم متأججين حماسة وايماناً كتأجج سفنهم بالنيران، وما هي الا هنيهة حتى يندفع طارق ويندفع وراءه رجاله الاثنا عشر ألفاً فيمزقون جيش القوط شر ممزق . وهو يفوقهم في العدد والعدة عشرات المرات .

ثم يتقابل الجيشان ثانية على شاطىء نهر كرادليت شمالي سيدونيا ، فذاك رودريك ومعه حوالي مائة الف جندي ، وهذا طارق وقد قل عدد جنده . ولكنه ازداد حماساً وايماناً ونصرا ، فهزم جيش القوط ثانية شر هزيمة فتركوا مليكهم غارقاً في النهر وانهزموا لا يلوون على شيء .

وقد أحدثت هذه الانتصارات المتوالية هزة عنيفة في مشاعر السكان جميعاً ، فأضعفت من معنوياتهم ، فسارعوا الى عرض الصلح على طارق ، فصالحهم على شروط مرضية ثم أكمل الفتح حتى سقطت بين يديه بالتوالي مالقة وغرناطة وقرطبة . ثم التقى مع مولاه موسى بن نصير في طليطلة بعد أن فتح أشبيليا فأتما فتحها ، ووحدا قوتهما وسارا شمالا وغرباً حتى دانت لهما الجزيرة الأندلسية حتى جبال البرانس وذلك في أقل من سنتين . ثم عهد موسى الى طارق مهمة تطهير البلاد من الجيوب المنعزلة ، وتوجه هو الى فرنسا . فكان أول قائد عربي مسلم يضع أقدامه فيها ، وما أن صعد على جبال البرانس حتى عقد النية على فتح أوروبا كلها حيث أكمل فتح ما تبقى من القسم التابع للقوط من بلاد لانغدوق ، ولولا وصول رسول الخليفة لاستدعاء القائدين الى الشام ، لكان طارق قد لحق بموسى فأوغلا فتحاً في فرنسا كما أوغلا فتحاً في اسبانيا . ثم توقف الفتح فترة من الزمن وذلك للانصراف الى تنظيم الولايات المفتتحة ، ونشر السلم والعدل والنظام في ربوعها . وقد وجد سكان تلك الولايات في المسلمين رحمة وشفقة وانصافاً وحسن معاملة لم يعرفوا مثلها أبدا ، وقد تأثروا بتلك المعاملة السمحة وذلك العدل والانصاف فأقبلوا على الاسلام يعتنقونه رمزاً .

وقد بدأ فتح العرب لفرنسا بعد اتمام فتح الاندلس وتمكنهم فيها ، ويذكر ابن حيان : « تلك الفتوحات بدأت منذ أيام موسى وطارق الى زمان عبد الرحمن الغافقي » . وقلما يخلو عهد وال من ولاة الأندلس من فتوحات . ولكن تلك الفتوحات لم تكن بقصد الاستيلاء أو الضم وانما كانت حملات بقصد نشر راية الاسلام فوق تلك الربوع . ونظراً لبعد هذه الرقعة عن مركز الخلافة الاسلامية ، فقد كان الوالي هو الذي يتخذ قرار الفتح وفقاً لامكاناته وظروفه .

وعندما جاء « الحر بن عبد الرحمن الثقفي » الذي ولي الأندلس سنة ٧١٨ م ، أعاد الكرة في محاولة فتح جنوبي فرنسا ، فأوغل فيها حتى وصل الى بلدة تيم ، ولما لم يجد مقاومة عاد الى الأندلس وقد برر المؤرخ الفرنسي « رينو » هذه السهولة في الفتح وعدم المقاومة للعرب الفاتحين بأن هذا الشعب القاطن في جنوبي فرنسا وهم من أعقاب الرومانيين القدماء والقوط ، لم يقو على الصمود في وجه جيوش المسلمين المتدفقة عليه من جبال البرانيس .

وجاء على أثر « الحر » السمح بن مالك الخولاني الذي أرسله عمر بن عبد العزيز ليكون والياً على الأندلس سنة ١٠٢ هـ فجدد الفتوح وقاد جيشاً جراراً عبر به شعاب البرانيس وانقض على فرنسا فأوغل فيها فتحاً حتى وصل الى « ناربونه » سنة ٧١٩ م فحاصرها ثمانية وعشرين يوماً حتى فتحها ، ثم سار شطر « تولوز » التي يطلق عليها العرب اسم «طلوشة» ، بعد أن دانت له مقاطعتا « سبتمانيا » و « بروفانس » . و « تولوز » هذه هي حاضرة « اكيتانيا » وكان يحكمها الدوق « أودر » الذي جمع جيشاً كبيراً ، وقابل به « السمح بن مالك » الذي يلطق عليه الفرنج « زاما » ، فدارت بين الفريقين معركة ضارية ، سقط على أثرها السمح بن مالك شهيداً ، فاختل نظام الجيش بعد مقتل قائده ، ولكن الله تعالى قيض له أحد القواد الشجعان وهو عبدالرحمن الغافقي ، فتولى امرته واستطاع أن ينسحب به الى « اربونة » فتحصن بها . وكان السمح بن مالك قد أمر بتحصينها وتقويتها ، وجعلها مستودعاً للمعدات الحربية ومؤن الجيش في غاراتهم على فرنسا .

وفي سنة ١٠٤ هـ زحف والي الأندلس الجديد « عتبة بن سحيم الكلبي » على فرنسا واتجه وجهة أخرى فاستولى على « سبتمانيا » ووصل الى حوض « الرون » ، ثم يمم شطر مدينة « ليون » ، فأوغل في زحفه حتى بلغ

« ليون » ففتحها ، ثم صالح الدويلات المحيطة وقفل راجعاً الى الأندلس . ولكنه قتل أثناء عودته ، فارتد المسلمون مرة أخرى الى « اربونة » سنة ١٠٧ هـ وكان من بين البلدان التي افتتحها « كركاسون » و« تيم » وغيرهما . ويقول المؤرخ الفرنسي رينو : « ان معظم الانتصارات التي حققها المسلمون تعزى الى المهارة وحسن الادارة ، أكثر منها الى القوة والكثرة ، وقد أسفر نجاحه في اكتساب ثقة الآهلين ونيل رضاهم عن تقوية مركز المسلمين في جنوبي فرنسا .

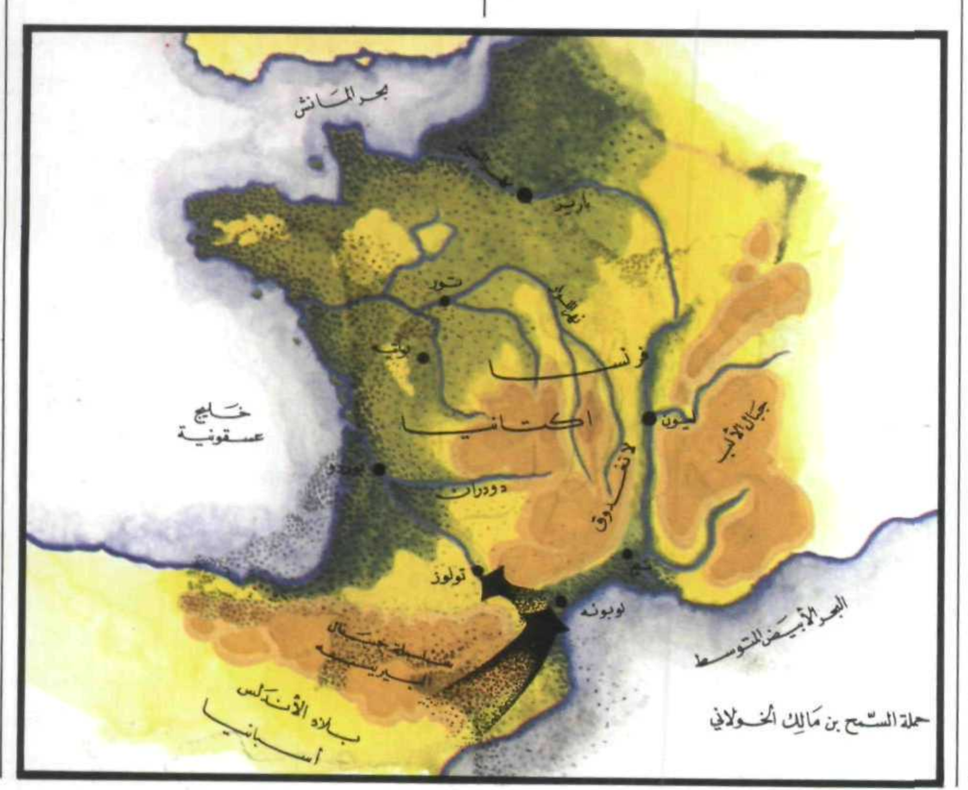
ولسوء الطالع في الفتوحات العربية فيما وراء « البرانيس » ان ولاة الاندلس كانوا قليلي المكوث في البلاد وقصيري المدة في الولاية ، اضافة الى بعد المسافة بينهم وبين مركز الخلافة الاسلامية . وبذا توقف مد الفتح بعد أربع سنوات من مقتل « عتبة » وُلي خلالها عدة ولاة الى ان تولاها عبد الرحمن الغافقي سنة ١١١هـ .

وثمة ملاحظة لا بد من الاشارة اليها هنا ، وهي أن غزوات العرب كانت تتسم بطابع الفتح ونشر الاسلام ، ولكن مؤرخي الفرنج المعاصرين يزعمون بأن غزوة « السمح بن مالك الخولاني » كانت تتسم بطابع الاستيلاء ، وبأن العرب المسلمين جاءوا الى هذه البلاد لسد فقرهم وعوزهم . ولو امعنوا النظر في التاريخ العربي الاسلامي قليلا ورأوا ان العرب قد اثروا منذ أيام عثمان بن عفان لعلموا بان ادعاءهم باطل من أساسه ، وان الايمان وحده ، ونشر هذا الدين القويم : هما اللذان كانا وراء الفتوحات الاسلامية . كما أن غنم الغنائم أمر مشروع في سنة الحرب .

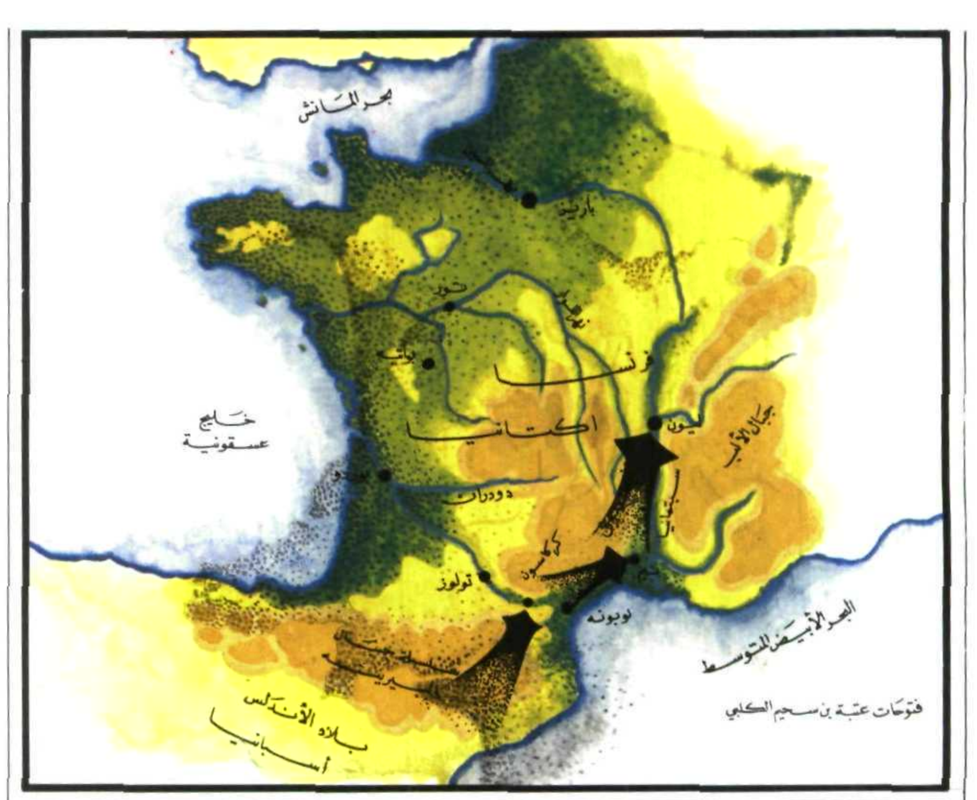
وقبل أن نقف على فتوحات عبد الرحمن الغافقي ، لا بد لنا من أن نشير هنا الى سلفه « الهيثم بن عبيد الكلابي » الذي ولي الأندلس ، ولم تمهله المنية حتى يكمل ما بدأ به أسلافه ، ومع ذلك فقد استأنف الفتح وسار على رأس جيشه ، فأخضع الجيوب في شعاب الجبال ليستولي على « ليون » مرة أخرى ، وليفتح مدينة « بون » ، وقد أبرمت عدة مدن أخرى معاهدات صلح معه يدفعون بموجبها الجزية .

وعلى أثر وفاة « الهيثم » ، استدعى « هشام بن عبد الملك » عبد الرحمن الغافقي وولاه الأندلس سنة ١١١هـ ، وقد قابل العرب المسلمون والاسبانيون خبر توليته بارتياح كبير لما كان له من مواقف رائعة وسوابق طيبة ، ولما كان يمتاز به من المقدرة والحنكة وحسن التدبير . فما أن ولي الأندلس حتى وطد النظام في انحاء البلاد ، ثم تفرغ للفتح . ويقول عنه أحد المؤرخين : بأنه كان دون منازع أقدر الرجال الذين تولوا الحكم في الاندلس ، فكان يجمع الى الكفاءة الممتازة في الادارة نبوغاً عظيماً في الأمور العسكرية ، وكان جنوده معجبين به جداً ، كما أن رقة شمائله وكرمه وعدالته أكسبته محبة رعيته . وغني عن البيان أن « عبد الرحمن الغافقي » على كفاءته وحنكته ودرايته ، كان قد عاش في الأندلس طويلا ، فخبرها جيداً . فلا غرو اذن ان ينجح في ادارتها حتى تم له الاستقرار في البلاد ليستأنف الفتح ، تحدوه الى ذلك غايتان : أولاهما أن يأخذ بثأر العرب المسلمين من الفرنجة ، والثانية أن يعيد سيرة أسلافه ومعاصريه من قادة العرب المسلمين الذين سبقوه ، كطارق بن زياد وموسى بن نصير ، والذين عاصروه وسمع أخبارهم في المشرق كعتبة بن مسلم الباهلي ، ومحمد بن القاسم الثقفي ، ويزيد بن المهلب الأزدي . فحذا حذوهم واتّبع خطاهم ، وصرف كل همه نحو تعبئة جيشه وتشكيل كتائبه وفيالقه ، واستنجد بأمير افريقيا فأمده بجنود مختارة تتلظى شوقاً الى الجهاد .

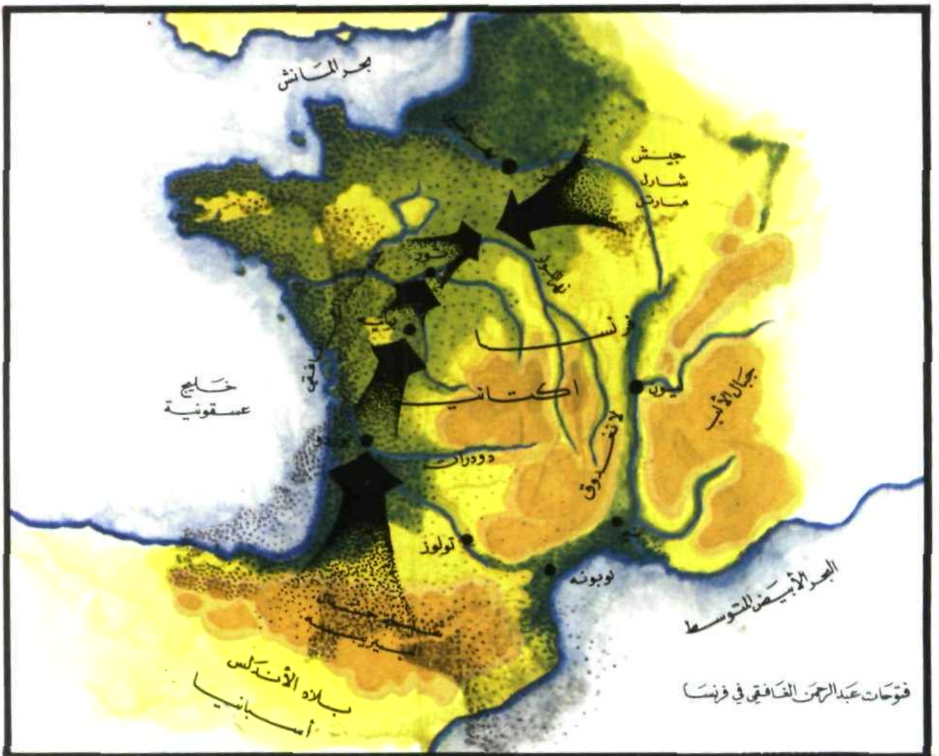
وما أن استكمل عبد الرحمن عدة جيشه وتعبئته أو كاد ، حتى أمر عثمان بن أبي نسعة « امير الثغر » والمسمى عند الفرنسيين بـ «مانوزه » بأن يناوش العدو ويشغله حتى يطل عليه بجيشه . ولكن هذا الرجل تلكأ وتقاعس عن تنفيذ الأمر ، وغيرت من طباعه وشمائله العربية زوجته الفرنسية ابنة دوق « اكيتانيا » حيث أرسلت الى أبيها تعلمه ليستعد ويستنفر جنوده ، وقد علم عبدالرحمن بما كان من عثمان وزوجته الفرنسية فأرسل اليه جنداً فقتله وأسر زوجته وأرسلهما الى الخليفة هشام بن عبد الملك . ولكن الفرنسيين المجاورين لجبال البرانيس استشاطوا غضباً من عبدالرحمن وتأثروا لمقتل نسيبهم عثمان ، فبدأوا يتكتلون ويتجمعون بقصد الاغارة على ثغور المسلمين ، يدفعهم الى ذلك ويذكي من حماستهم دوق اكيتانيا . وما أن علم عبد الرحمن بذلك حتى زحف نحوهم بجيشه اللجب يطوي به جبال البرانيس ، وهبط على فرنسا فدانت جميع البلدان والولايات الواقعة ما وراء جبال البرانيس فاستولى على « نافارا » و« ارغون » ، ودخل أرض فرنسا من أودية « بيقور » و« بيرن » حتى بلغ « بوردو » ، فافتتحها عنوة بعد محاولة قصيرة قتل في نتيجتها أمير المدينة . وبعد أن أكمل عبد الرحمن فتح « بوردو » ، زحف نحو الشمال فألفى دوق اكيتانيا « أودر » ممسكاً عليه شعاب ممر « دوردان » فحمل عليه



حملة السمح بن مالك الخولاني



فتوحات عنبسة بن سحيم الكلبي



فتوحات عبدالرحمن الغافقي في فرنسا

عبد الرحمن وهزمه شر هزيمة فصار يستنجد بخصمه القديم «شارل مارتل» ويستصرخه. فرأى الفرنسيون والأمراء من كافة الأجناس أنهم ملاقون حتفهم وان الخطر يتهددهم، فاستجاب «شارل مارتل» لطلبه وحشد قوة كبيرة من متوحشي الدانوب والألب وقفار ألمانيا. ويمكن القول بأن أكثر شعوب أوروبا اشتركت في قتال العرب المسلمين بامرة شارل مارتل.

وأوغل عبد الرحمن حتى وصل الى «بواتيه» فاحتلها ومضى في طريقه الى «تور» ففتحها أيضاً بعد معركة حامية. وهناك جاءته أخبار «شارل مارتل»، وكانت أخباراً خاطئة عن تقدير قوته وجموعه. فعزم عبد الرحمن على عبور نهر «لوار» لملاقاة «شارل». وهناك فاجأه بجموعه الجرارة واعداده الضخمة. وعندما عرف عبد الرحمن حقيقة خصمه وتفوقه بالعدد عليه، وان الأرض التي أمامه لا تصلح ميداناً مناسباً للمعركة، قرر الانسحاب من خطوطه الأمامية وارتد الى الخط الواقع بين «تور» و «بواتيه» حيث عبأ أصحابه استعداداً للمعركة. ولكن الجيشين بقيا ثمانية أيام دون قتال يذكر.

والجدير بالذكر أن الجيش العربي الاسلامي، كان يضم نخبة ممتازة من الجنود والمتطوعين المجاهدين الذين وفدوا الى الأندلس من بلاد العرب وشمالي افريقيا وكان من بينهم عدد كبير من البرابرة الذين دخلوا في الاسلام حديثاً، وكان معظم العرب المسلمين في هذا الجيش من القبائل العربية التي جاءت من الجزيرة العربية وبلاد الشام الذين كانوا يشكلون جيش الفتح الذي فتح افريقيا والأندلس، وكانوا على جانب كبير من الشجاعة والبسالة، وقد خاض هذا الجيش عدة معارك طاحنة مما زادته خبرة وقوة ومنعة. ويقول المؤرخون: ان عبد الرحمن الغافقي، رحمه الله، قد لاحظ على جيشه كثرة غنائمه فخشي أن تلهيهم هذه الغنائم عن القتال. أراد ان يصرفهم عن ذلك لئلا تكون وبالا عليهم كما حدث، ولكنه لم يشأ اغاظتهم فيخسر قلوبهم وهو في أرض الأعداء وأمام هذا الحشد الكبير من جنود العدو، فاعتمد على شجاعتهم، وبشاء سوء الطالع أن لا يفعل عبد الرحمن ما فكر به ورآه منذ البدء متفشياً في جيشه.

أما المؤرخ «رينو» فيقول: لقد بلغت حماسة العرب المسلمين في تلك الغزوة لدرجة أن بعض مؤرخيهم شبههم فيها بالريح الصرصر، تقتلع كل ما جاء أمامهم، فقلما ذكر التاريخ معركة لها ما بعدها مثل هذه المعركة اذ كان الفرنسيون من جهة يذودون عن ديانتهم وأوضاعهم وبلادهم، وكان المسلمون من جهة أخرى يعتقدون أنهم انما يقتلون في سبيل الله واضعين نصب أعينهم الحسنيين، فاما النصر واما الشهادة.

وخلاصة القول ان جيش الافرنج كان أكثر عدداً وأخف حملا وأوفر راحة من جيش عبدالرحمن الذي تجشم أهوال المعارك ووعثاء السفر الطويل، ومع ذلك فقد التقى الجيشان العظيمان ليقتتلا قتالا ما عرفت الحروب مثله ضراوة وعنفاً. وقد بدأ المسلمون بخفة حركاتهم



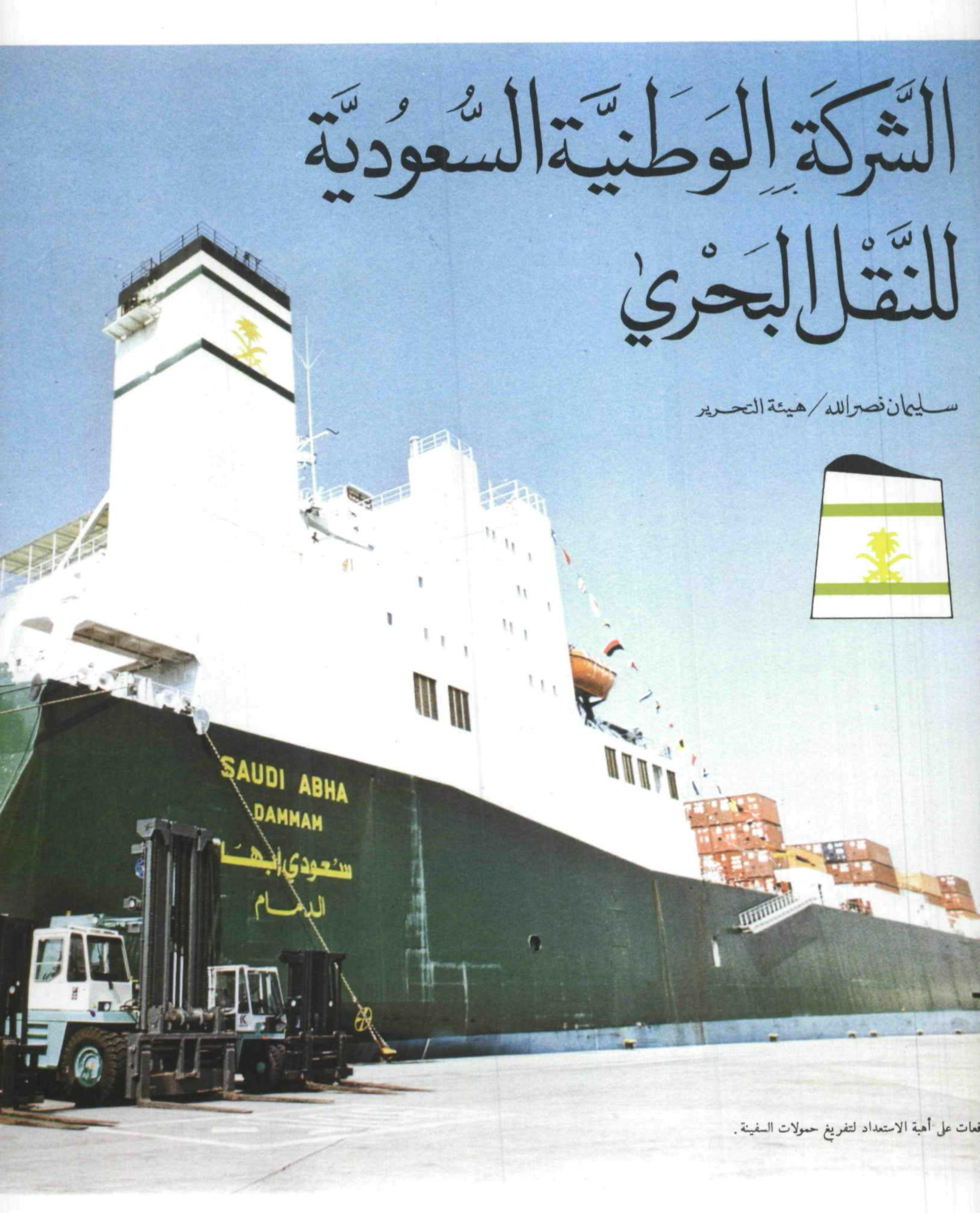
على سروات الخيل ، يهاجمون تلك الأعداد الضخمة هجمات عدة ولكن دون أن ينالوا منهم شيئاً ، فاستمر القتال أول يوم طوال النهار حتى حجزهم الظلام عن بعضهم البعض . وفي اليوم التالي تجدد القتال ورخصت النفوس في ساحة الشهادة ، وحمل المسلمون على الافرنج حملات هائلة ولكن دون جدوى ، ومع ذلك فقد كان رجحان الكفة الى جانبهم وكادوا يفوزون بالنصر الحاسم ، لولا أن فرقة من الافرنج ، ويعتقد بأنها فرقة الدوق « أودر » صاحب اكيتانيا ، قد أغارت على مؤخرة جيش المسلمين . وما هي الا ساعات حتى دوت صرخة في صفوف العرب المسلمين تؤذن باحداق العدو بهم والاغارة على غنائمهم . ولعل الدوق « أودر » بعد المعارك التي خاضها مع العرب منذ أيام « السمح بن مالك » حتى هذه المعركة ، كان يتحرق ألما ازاء ما غنمه العرب المسلمون منه ، ولقد رأيناه ينعزل عن جيش « شارل مارتل » ويغير على الغنائم . غير ان اغارته هذه كانت وبالا عليه ، لأنه كما يعتقد ، قد قام بها دون خطة مرسومة مسبقاً ، ودون أمر صادر عن قائده « شارل مارتل » الذي كان بحاجة اليه لسد الثغرات التي أحدثها المسلمون في صفوفه . ومما يؤكد ذلك قول أحد مؤرخي الافرنج : بأن « شارل مارتل » كثيراً ما كان يسد الثغرات بنفسه وينتقل من جهة الى أخرى ليثبت جنده ويرأب صدع جيشه . ومصداقاً لذلك قام « شارل مارتل » بتعبئة جنوده في صباح اليوم التالي لاستئناف القتال ، ولشد ما كانت دهشته عندما رأى معسكر المسلمين خالياً . فلو كانت الخطة موضوعة ومعروفة من قبل قائد الجيش لقرر المطاردة ولو تحت جنح الظلام .

وقد يكون من المرجح أن عمد دوق « اكيتانيا » الى هذه « الاغارة » بقصد النهب والسلب ، وخاصة بعد أن رأى أن كفة العرب كانت راجحة في مستهل المعركة . ومما جعله يشعر بأنه لا بد من هزيمة جيش شارل مارتل أمام تلك الهجمات العربية العنيفة المتوالية . وقد عرف صبر العرب المسلمين في القتال من قبل وعرف شدة بأسهم ومبلغ شجاعتهم وبسالتهم . فآثر الغنيمة على الهزيمة وكانت النتيجة على عكس ما قدر وخلافاً لما تصور ، وكانت رمية من غير رام . ومع ذلك فلم يستطع « أودر » أن يفعل شيئاً ولم يسترد الغنائم ، لأن المقاتلين المسلمين انكفأوا عن صفوفهم .

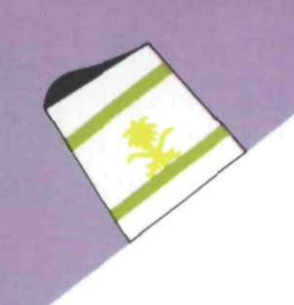
وشاء القدر مرة أخرى أن يخيم على المسلمين التراجع ، فهرع عبدالرحمن يرد المنكفئين ويسوي الصفوف ، ولكن اجتهاده هذا لم يجد نفعاً . وفيما هو في ذلك أصابه سهم طائش فسقط شهيداً يتضرج بدمائه ، فارتبك العرب المسلمون لمقتله وأثر فيهم تأثيراً بالغاً خاصة وانه كان بين المنكفئين يردهم الى صفوفهم ويعيد تنظيمهم ، فزادهم انكفاؤهم ارتباكاً وتقهقرهم بلبلة واختلالا ، وبقي من لم يعرف بعد باستشهاده ، يقاتل في الجهات الأخرى حتى حل الظلام ، فحسر الجيشان عن بعضهما البعض ، وقرر المسلمون الانسحاب تحت جنح الظلام فتركوا خيامهم منصوبة في الساحة ومضى كل قائد بجنوده ميمماً « شطر سبتمانيا » . وفي الصباح تقدم الأعداء فلم يجدوا أحدا يقابلهم وظنوا أنها خدعة وصاروا يتقدمون فلم يجدوا أحداً ، فأغاروا على المعسكر لينهبوا الغنائم وليقتلوا من فيه من جرحى المسلمين ، فكانت نهاية مأساوية أضاع بسببها المسلمون ملكاً دام زهاء سبعة قرون ونيف □

# الشَّركَة الوَطنيَّة السُّعُوديَّة للنَّقْل البَحْري

سـليمان نصرالله / هيئة التحرير




فعات على أهبة الاستعداد لتفريغ حمولات السفينة .



انطلاقاً من الوعي المتزايد بأهمية دور الخدمات الملاحية في التنمية الاقتصادية للمملكة ودول الخليج العربي، وحماية لمصلحة الوطن والمواطنين، تأسست الشركة الوطنية السعودية للنقل البحري، لتوفير أفضل خدمات النقل البحري للحكومات والتجار ورجال الأعمال، واستطاعت في غضون فترة وجيزة من عمرها أن تثبت نفسها بين شركات الملاحة العالمية، بفضل الدعم الحكومي لها، والادارة الديناميكية والتخطيط العلمي المدروس.

## خطوة رائدة في صناعة النقل البحري

المعروف تاريخياً ان العرب من أقدم الأمم التي ارتاد ابناؤها البحار ، اذ صنعوا السفن على اختلاف أشكالها واحجامها ، وضربوا في عرض البحر شرقاً وغرباً ، غير عابئين بالرياح العاتية ، والأنواء والأعاصير الشديدة والتيارات البحرية الخطرة الى غير ذلك من مصاعب جمة ، تغلبوا عليها بالجهد، والخبرة والجرأة ، وروح المغامرة العالية ، فبرعوا بذلك في فنون الملاحة والتجارة العالمية في العصور الوسطى ، وفي ارساء قواعد الملاحة البحرية على أسس علمية . فلا غرو والحالة هذه أن تنشط حركة الملاحة العربية في شبه الجزيرة العربية اليوم ، بفضل ما تتمتع به هذه المنطقة من مركز اقتصادي مرموق ، وموقع استراتيجي هام . ولهذا فقد جاء تأسيس « الشركة الوطنية السعودية للنقل البحري » خطوة رائدة في صناعة النقل البحري في المملكة العربية السعودية ، وانطلاقة جديدة على طريق البناء ، لمواكبة النهضة الحضارية التي تعيشها المملكة حالياً . فقد بلغ حجم واردات المملكة خلال عام ١٩٨١ نحو ٤٢ مليون طن من مختلف البضائع والمواد الأولية ولوازم المشاريع، وبهذا احتلت المملكة المرتبة الحادية عشرة من حيث التجارة الدولية . ومن هذا المنطلق تبرز أهمية وجود شركة ملاحة وطنية تسهم في عملية التنمية المنشودة . فحتى منتصف عام ١٩٨١ لم يكن لدى المملكة العربية السعودية شركة شحن بحرية وطنية ، تشارك في نقل واردات المملكة من المواد الأولية اللازمة للتصنيع والانشاءات ، أو السلع والبضائع الاستهلاكية ، اذ كانت تعتمد اعتماداً كلياً على شركات النقل البحرية العالمية ، التي غالباً ما كانت تحتكر هذا النشاط ، وتفرض شروطها أحياناً على عملائها ، علاوة على فرض أجور شحن باهظة . لهذا كان لا مندوحة عن التفكير جدياً بهذا الأمر ودراسته من قبل المسؤولين

صاحب السمو الملكي الأمير ماجد بن عبد العزيز ، أمير منطقة مكة المكرمة يرعى الاحتفال الخاص بتدشين السفينة « سعودي أبها » .

في الدولة والمعنيين من المواطنين دراسة مستفيضة. فكان أن صدر المرسوم الملكي رقم م/٥ وتاريخ ١٣٩٨/٢/١٢هـ القاضي بتأسيس «الشركة الوطنية للنقل البحري» كشركة سعودية مساهمة، لتعمل ما بين موانىء المملكة العربية السعودية وموانىء العالم، وهي بهذا تعتبر أول شركة مساهمة ذات ملكية سعودية بالكامل، تعمل في مجال النقل البحري. اذ يمتلك القطاع الخاص ٤٥٪ من رأسمال الشركة البالغ ٥٠٠ مليون ريال سعودي، ويمتلك رجال الأعمال السعوديون المؤسسون ٣٠٪ من رأس المال، بينما تمتلك حكومة المملكة العربية السعودية ٢٥٪ المتبقية من رأس مال الشركة.

البحرية. لذلك ارتأينا أن نضع سعودياً مؤهلا علمياً للعمل مع كل خبير أجنبي انتدبناه، لاكتساب الخبرة والمعرفة في مختلف مجالات النقــل البحري. وبالرغم من الصعوبات والتحديات التي واجهناها في بادىء الأمر، استطعنا، بعون الله، انجاز الدراسات الفنية اللازمة، في غضون فترة قصيرة نسبياً، واستأجرنا مقراً موقتاً في مدينة الرياض ليكون مركزاً رئيسياً للشركة، ريثما ننتقل الى مقر الشركة الدائم في حي الملز، حالما يتم بناوه. وأقر مجلس ادارة الشركة المؤلف من سبعة أعضاء برئاسة الشيخ محمد العبدالله الصقير، خطوات التنفيذ وتحديد أغراض وأهداف الشركة. وفي شهر حزيران (يونيو) ١٩٨١ تم الاعلان عن

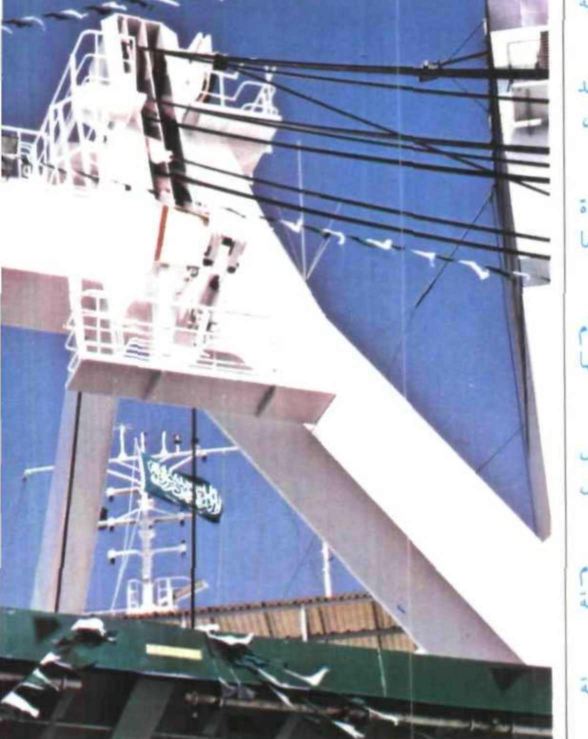







## بداية متواضعة وطموحات كبيرة:

ما ان صدر قرار تأسيس الشركة —والحديث هنا لمدير عام الشركة الوطنية السعودية للنقل البحري، الدكتور عبد العزيز محمد التركي— حتى تضافرت جهود الأجهزة الحكومية المعنية، كوزارة المالية والاقتصاد الوطني، ووزارة المواصلات، ووزارة التجارة، لوضع القرار موضع التنفيذ. فعكفنا على وضع خطة للعمل مع التركيز على العنصر البشري، وتمكنا من استقطاب فئة من الخبراء العالميين، ممن توفرت لديهم خبرات واسعة في شؤون النقل البحري كالشؤون المالية، وانشاء شركات الملاحة، وعمليات البواخر، والتسويق، وما الى ذلك، بغية وضع برنامج محدد للتنفيذ. وهنا يجب أن أعترف بأننا في المملكة نفتقر الى الخبراء الوطنيين في مجال النقل البحري، الذي قفز في غضون العقدين الماضيين قفزات هائلة مع التقدم العلمي والتقني في العلوم



١ – الواجهة الأمامية للمقر الرئيسي للشركة الوطنية السعودية للنقل البحري بالرياض.

٢ – مدير عام الشركة الدكتور عبد العزيز محمد التركي في حديث مع الزميل سليمان نصر الله، محرر «القافلة».

٣ – «سعودي أبها» هي احدى السفن الجديدة التي قامت الشركة بشرائها، لتعزيز اسطولها البحري، وهي من نوع «الرورو».

٤ – الدكتور عبد العزيز محمد التركي، مدير عام الشركة، يتحدث عن انجازات الشركة وأهدافها لمندوب «القافلة».

٥ – الأستاذ محمد عبد الله الصقير، رئيس مجلس إدارة الشركة، يلقي كلمته في الاحتفال الخاص بتدشين السفينة الجديدة «سعودي أبها».

٦ – قبطان السفينة محمد عبود بابيضان يقوم بالاتصال بسلطات الميناء للتنسيق في عملية رسو السفينة على الرصيف المخصص لها.

٧ – سفن الشركة كهذه، مزودة بالرافعات الضخمة للتحميل والتفريغ.








الشركة الوطنية السعودية للنقل البحري ترتبط بثلاثة قطاعات هي : حكومة المملكة العربية السعودية ومساهمو الشركة العموميون ، والمؤسسون فاننا بعون الله وتوفيقه ، وثم بدعم تلك القطاعات الثلاثة ، سوف لن نفشل في تحقيق أهدافنا التي نصبو اليها ، ان شاء الله » .

## بواخر ذات مواصفات رفيعة

عندما قامت الشركة بشراء أولى بواخرها ، وضعت في اعتبارها ان تتوفر في تلك البواخر مميزات ومواصفات ، تتلاءم مع البضائع والمواد التي تنقلها . فهي من نوع « الرورو — Roll on — Roll off » التي تحمل وتفرغ بضائعها على نظام الدحرجة . وتستوعب كل من الباخرتين « سعودي مكة » و « سعودي رياض » ١٢٥٠ حاوية نمطية . هذا وان التصميم الخاص لكلتا الباخرتين قد أثبت فعاليته من حيث سرعة عملية التحميل والتفريغ في كل ميناء ترسو فيه الباخرة ، كذلك سهولة عمليات الصيانة . ومن المميزات الأخرى لهذا النوع من السفن هو امكان شحن البضائع ذات الحجم الهائل على السطح السفلي للباخرة . كما زودت الباخرة برافعة خلفية ذات ممر منحدر ، مع مساحة كافية لتحميل وتفريغ البضائع في آن واحد . ولما كانت الشركة الوطنية السعودية للنقل البحري تعتمد أساساً على هذا النوع المتميز من السفن التي تسير على خطوطها الملاحية ، فانها بذلك توفر الخدمات والوسائل المتعددة ، التي تعجز سفن الحاويات والسفن العادية الأخرى عن توفيرها . فبالاضافة الى ما تحمله من حاويات فانها

احتكارات الناقل الأجنبي ، وتأمين البضائع والمعدات المنقولة ، وحماية تجار المملكة والخليج العربي من الاستغلال . فالشركة من هذه الناحية تعتبر من المشاريع الاستراتيجية للدولة ، ولهذا فهي تحظى بالدعم والتشجيع المستمرين من قبل الدولة .

واليوم وبعد عام ونصف من مباشرة الشركة لأعمالها ، نجد أن الطموحات ، التي تطلع اليها القائمون على الشركة ، قد أصبحت حقيقة ملموسة ، نتيجة للزيادة الملحوظة في نسبة ما تنقله الشركة من واردات المملكة ، والتي تبلغ نحو عشرة في المائة ، فضلا عن الثقة بها ، والاقبال الشديد الذي تلاقيه من قبل شركات النقل البحري العالمية ، الأمر الذي جعل فرص النجاح أمامها واسعة ، وهيأ لها مجالا كبيراً للتوسع في أنشطتها . وحول هذا الموضوع قال الدكتور عد العزيز محمد التركي : « كثير من شركات النقل البحري تراها تباشر أعمالها اليوم ، ولكن سرعان ما تتوقف . وحيث أن

مباشرة الشركة الوطنية السعودية للنقل البحري للمهام المسندة اليها . فقامت بشراء باخرتين من نوع « الرورو » وهما « سعودي مكة » و « سعودي رياض » كنواة لاسطولها التجاري مستقبلا ، وتم تسجيلهما تحت العلم السعودي. وهما الباخرتان اللتان تم تسييرهما على أول خط ملاحي للشركة بين موانىء الولايات المتحدة الأمريكية وموانىء المملكة العربية السعودية وبعض موانىء الخليج العربي . وقد افتتح ذلك الخط في ١٩٨١/٦/٢٤ م حيث قامت السفينة « سعودي مكة » بأول رحلة لها من ميناء « هيوستن — Houston » بالولايات المتحدة الامريكية ، متجهة الى موانىء المملكة . وفي ١٩٨١/٧/١٣ أبحرت السفينة «سعودي رياض» في أول رحلة لها من هيوستن الى موانىء المملكة والخليج العربي. وبافتتاح هذا الخط الملاحي الأول للشركة نكون قد حققنا جانباً من طموحاتنا وأهدافنا الرامية الى خدمة الوطن والمواطنين ، وكسر

تحمل على ظهرها الشاحنات ، والأوتوبيسات ، وكل ما يسير على عجلات ، بسهولة وأمان .

## الشركة توسّع نطاق أعمالها :

ان النتائج الباهرة التي تحققت من تسيير الخط الملاحي الأول الذي يربط بين موانيء الولايات المتحدة الأمريكية الجنوبية والشرقية ، وموانيء المملكة وبعض موانيء دول الخليج العربي ، شجعت الشركة على توسيع مجال عملياتها وأنشطتها ، بتوقيع اتفاقية مع شركة « كوكمز — Kockums » السويدية في سبتمبر ١٩٨١ ، تقوم بموجبها هذه الشركة ببناء وتسليم أربع بواخر من نوع « الرورو » ، وهي من أضخم البواخر في العالم في مجال النقل البحري ، اذ تبلغ سعة الواحدة منها ٢١٠٠ حاوية ، ووزنها الساكن حوالي ٤٢٦٠٠ طن ، وتسير بسرعة ١٩ عقدة بحرية في الساعة . وتستطيع هذه البواخر نقل السلع الثقيلة التي تستوردها المملكة كالرافعات ، والحافلات ، والمعدات والجرافات الثقيلة ، كما أن سطح الباخرة المتحرك يتسع لنحو ٥٣٠ سيارة من الحجم الكبير .

وقد جرى في ٦ ديسمبر ١٩٨٢ ، برعاية الشيخ محمد العبدالله الصقير ، رئيس مجلس ادارة الشركة ، والدكتور عبد العزيز محمد التركي ، مدير عام الشركة ، وسفير المملكة لدى السويد الشيخ محمد خوقير ، ووزير التجارة والصناعة السويدي روبن كالسون جرى الاحتفال بتدشين الباخرتين « سعودي أبها » و « سعودي درعية » ، اللتين باشرتا العمل منذ شهر مارس ١٩٨٣ م . هذا وسيتم تسليم الباخرتين الأخريين « سعودي هفوف » و « سعودي تبوك » قبل نهاية عام ١٩٨٣ . ان هذه البواخر تمثل نقطة تحول في تاريخ الشركة ، ومرحلة تطور كبير في ميدان خدمات النقل البحري التي تضطلع بها . وحول مواصفات البواخر الجديدة قال الدكتور عبد العزيز محمد التركي : « لقد تمت صناعة هذه البواخر وفقاً لأحدث المواصفات والأساليب التكنولوجية في صناعة البواخر . وتتوفر فيها احدث أنظمة الاتصالات التي توصل اليها العلم الحديث . كما صممت وصنعت لتستطيع الابحار الى الامام والخلف مما يسهل عملية دخولها وخروجها من الموانيء التي تؤمها . فضلا عن أن تلك المواصفات ستمكن الشركة من زيادة حجم عمليات الشحن التي توفرها

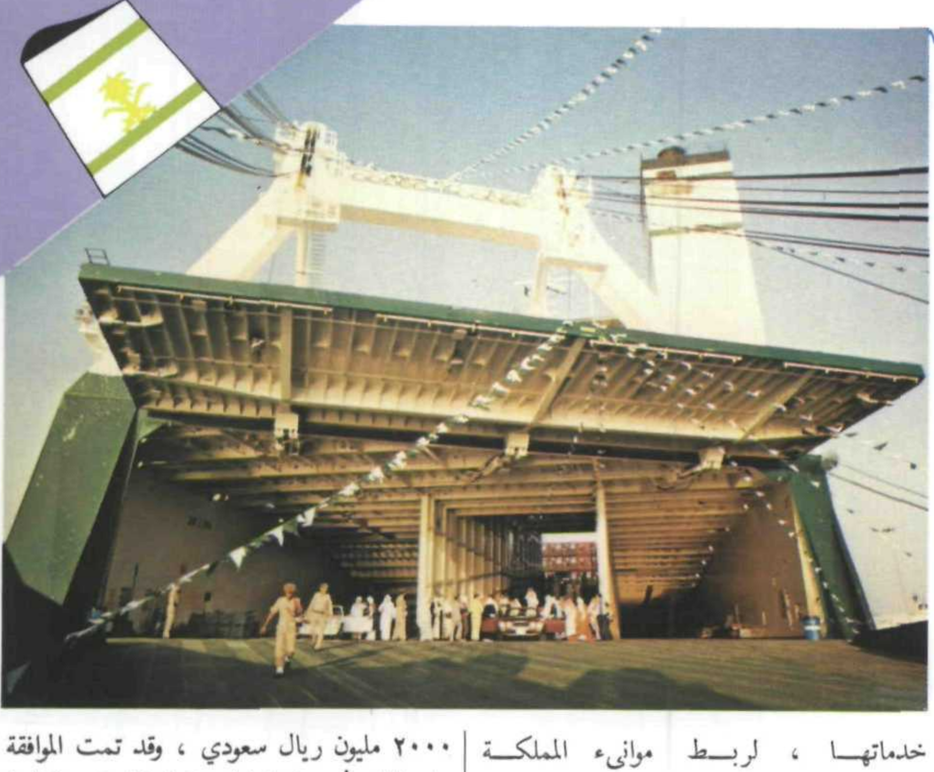




١ — جانب من الحضور في احتفال تدشين السفينة « سعودي أبها » في ميناء جدة الإسلامي .
٢ — صاحب السمو الملكي الأمير ماجد بن عبد العزيز يتحدث إلى الصحفيين عن الشركة الوطنية السعودية للنقل البحري .
٣ — الدكتور عبد العزيز محمد التركي يلقي كلمة في احتفال تدشين « سعودي أبها » .
٤ — صاحب السمو الملكي الأمير ماجد بن عبد العزيز يشرف الحفل الذي أقيم على ظهر السفينة « سعودي أبها » .
٥ — المدعوون إلى احتفال التدشين يتجولون في أرجاء السفينة العملاقة « سعودي أبها » .
٦ — صاحب السمو الملكي الأمير ماجد بن عبد العزيز ، أمير منطقة مكة المكرمة ، في حديث مع القائمين على شؤون الشركة أثناء الاحتفال بتدشين السفينة « سعودي أبها » .
٧ — السفينة العملاقة « سعودي أبها » وهي راسية في ميناء جدة الإسلامي .














خدماتهـا ، لربـط موانيء المملكـة بموانيء البلدان التي لها تبادل تجاري مع المملكة سواء في الولايات المتحدة الامريكية أو الشرق الأقصى ، وبالتالي تحقيق أهداف الشركة في زيادة عدد خطوطها الملاحية العالمية وتوسيعها . وبانضمام هذه البواخر العملاقة الى اسطول الشركة ، فقد قامت الشركة بتسيير سفنها على خطها الملاحي الثاني ، الذي يربط موانيء المملكة ودول الخليج العربية ببلدان الشرق الأقصى كاليابان ، وكوريا الجنوبية وتايوان . وحول توسع نشاطات الشركة قال الشيخ محمد العبدالله الصقير : عندما بدأت الشركة لم يكن لديها خطوط ملاحية . أما اليوم ، ونتيجة للثقة بها والاقبال الشديد عليها من قبل رجال الاعمال السعوديين والأمريكيين وغيرهم ، فان لها حصة كبيرة في خطوط الملاحة العالمية . وقد زادت خطوطها لتشمل الساحل الغربي الأمريكي عن طريق مدينة هيوستن . ومع افتتاح خط الشرق الأقصى تصبح الشركة الوطنية السعودية للنقل البحري من الشركات البحرية العالمية التي تربط المملكة بالعالم .

وتمشياً مع التوسع في أعمال الشركة وشراء البواخر الحديثة لدعم أسطولها ، ورغبة من جهازها الاداري في رفع فعاليتها لتتمكن من منافسة الشركات العالمية البحرية ، فقد رأى مجلس ادارة الشركة زيادة رأس المال المصرح به من ٥٠٠ مليون ريال سعودي الى ٢٠٠٠ مليون ريال سعودي ، وقد تمت الموافقة على ذلك في جلسة الجمعية العامة غير العادية التي عقدت في ١٤٠٢/٧/١٦هـ الموافق ١٩٨٢/٥/٩ م ، وبذلك تستطيع الشركة أن تمضي قدماً بمخططاتها لتوفير مزيد من الخدمات لعملائها ووضع البرامج المستقبلية موضع التنفيذ ، لتلبية احتياجات المستوردين على أسس علمية مدروسة ، لنقل البضائع الجافة منها والسائبة .

## تدشين "سعودي أبها" في ميناء جدة الاسلامي

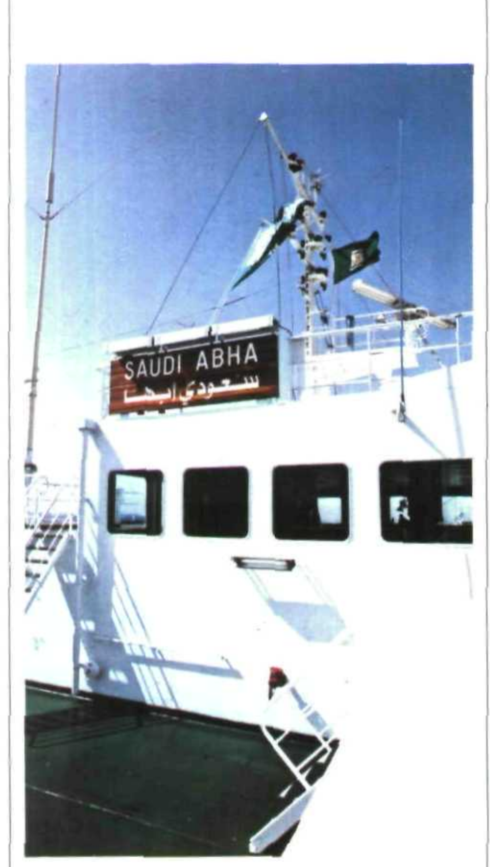
تحت رعاية صاحب السمو الملكي الأمير ماجد بن عبد العزيز ، امير منطقة مكة المكرمة ، جرى تدشين السفينة العملاقة « سعودي أبها » في ميناء جدة الاسلامي . وهي تمثل أحدث ما توصلت اليه صناعة السفن في العالم ، واحدى الخطوات الجبارة في تاريخ الشركة الوطنية السعودية للنقل البحري . فقد قامت الشركة بالتعاقد مع شركة « كولكنر » السويدية لبناء أربع سفن عملاقة هي « سعودي أبها » و « سعودي درعية » و « سعودي هفوف » و « سعودي تبوك » ، والتي ستنضم هذا العام الى السفينتين « سعودي مكة » و « سعودي رياض » لتصبح هذه السفن الست نواة لأسطول الشركة . وقد أشار رئيس مجلس ادارة الشركة الوطنية السعودية للنقل البحري ، معالي الأستاذ محمد عبدالله الصقير ، في هذه المناسبة ، الى أنه تم تأسيس الشركة مساهمة لتلافي الاعتماد



السفينة « سعودي أبها » مزودة بأحدث المعدات والأجهزة الملاحية .

على الشركات الأجنبية في استيراد السلع التي تتطلبها المملكة ودول الخليج العربية . وقال ان سفينة « سعودي أبها » ، هي واحدة من ست سفن تمتلكها الشركة ، وتعد من أضخم سفن العالم .

واستعرض الدكتور عبدالعزيز محمد التركي ، مدير عام الشركة الخطة التي انتهجتها الشركة منذ تأسيسها حتى اليوم ، قائلا : من أهدافنا الأساسية التي نسعى الى تحقيقها ، ربط المملكة مع المصادر الرئيسية في العالم ، التي تمد المملكة باحتياجاتها الاستهلاكية والمعدات المختلفة . وتسعى الشركة جاهدة لتدريب الكوادر السعودية للتوصل الى الاكتفاء الذاتي لادارة الشركة وصيانة أسطولها ، كما قامت الشركة بافتتاح فروع لها لتقديم أفضل الخدمات والتأكد من حماية مصالح الشركة والعملاء . وباضافة السفن الأربع الجديدة تكون الشركة قد خطت خطوة جبارة نحو تحقيق أهدافنا وخدمة عملائنا وتوفير الفرصة لافتتاح خطنا الملاحي الثالث الى الموانيء الأوروبية في المستقبل القريب . كما وتحدث القبطان محمد عبود بابيضان ، عن مميزات السفينة الجديدة « سعودي أبها » قائلا : « ان الشركة سايرت ركب التقدم الحضاري الذي يشمل جميع المرافق في هذا الوطن العزيز ، حيث حرصت على تصميم سفنها على أحدث ما توصلت اليه التقنية الحديثة في مجال النقل البحري . فهذه السفينة تمثل الجيل الرابع في صناعة سفن الرو – رو ، حيث تبلغ حمولتها الساكنة ٢٦٠٠ طن . ولا نتجاوز الحقيقة اذا قلنا ان « سعودي أبها » هي عدة سفن في سفينة واحدة ، نظراً لضخامتها ، فطولها يبلغ نحو ٢٥٠ متراً وعرضها ٣٢ متراً وغاطسها ١١,١١ متراً . ولها أربعة أسطح تنقل عدداً من الحاويات يصل الى ٢٠٥٠ حاوية نمطية على مساحة اجمالية مقدارها ١٧٦٥٠ متراً مربعاً أي ما يعادل مساحة ٦ ملاعب لكرة القدم . وتسير بسرعة ١٩,٥ عقدة بحرية في الساعة . وهذه السفينة مجهزة تجهيزاً خاصة يمكنها من حمل البضائع العامة والمركبات ، والمعدات الثقيلة ، وعربات السكك الحديدية ، كما أن السفينة مجهزة لنقل ٥٠ حاوية ثلاجة لنقل البضائع التي تحتاج أن تحفظ في درجة حرارة معينة ، أو أن تنقل وهي مجمدة كاللحوم والأسماك . أضف الى ذلك أن خصص في مقدمة السفينة قسم لنقل




علم المملكة يخفق عاليا على السفينة « سعودي أبها » .

السيارات بواسطة أسطح متحركة يمكن التحكم في رفعها وخفضها حسب الحاجة ، وهي قادرة على استيعاب نحو ٦٠٠ سيارة يمكن تفريغها في بضع ساعات عبر فتحات جانبية خصصت من أجل هذا الغرض . وقد جهزت السفينة بالمعدات والرافعات الشوكية التي تمكنها من تفريغ البضائع دون الاعتماد على امكانيات بعض الموانيء التي تؤمها ، فضلا عن قدرتها على الدخول والخروج من أرصفة الموانيء دون الحاجة الى استخدام قوارب السحب أو الدفع توفيراً للوقت وتفادياً لما قد ينجم عن هذه العملية من أضرار تلحق بهيكل السفينة . وتمتاز السفينة باتزان ذي قاعدة جيدة ، وقدرة على مواجهة العواصف وسوء الأحوال الجوية ، اذ أن مقدمتها البصلية الشكل تحد من تأثير الأمواج العالية وتكسبها حركة سلسة أثناء عبور البحار والمحيطات . والسفينة ، من ناحية أخرى ، مزودة بأحدث الأجهزة الملاحية ، منها على سبيل المثال لا الحصر نظام الملاحة عن طريق الأقمار الصناعية ، وجهاز تحديد الاتجاه الأوتوماتيكي ، وجهاز قياس الأعماق والرادار ، بالاضافة الى جهاز « الاربا » ، وهو عبارة عن جهاز رادار متطور متصل بعقل الكتروني ، يقوم بمساعدة ربان السفينة عن طريق رسم الأهداف المحيطة على شاشة خاصة تبين خط سير كل هدف وسرعته ، كما يقوم باصدار أصوات الانذار والتحذير عند احتمال وقوع خطر التصادم أو الاقتراب الحرج . وقد زودت محطة الاتصالات اللاسلكية في هذه السفينة بجهاز تلكس دولي ، وخط هاتفي مباشر يعمل بواسطة الأقمار الصناعية يمكّن ربان السفينة من الاتصال بادارة الشركة في أي وقت من الأوقات . وحرصاً من « الشركة الوطنية السعودية للنقل البحري » على توفير الجو المريح لافراد طاقم السفينة فقد اهتمت اهتماماً بالغاً بتوفير سكن لائق يعتبر فريداً في نوعه ، كما زودت السفينة بقاعات الطعام من الدرجة الأولى ، وصالات للاستراحة ، وقاعات للفيديو والتلفزيون ، ومكتبة ، وحوض للسباحة ، وصالة للألعاب الرياضية .

## ادارة فعّالة وأجهزة نشطة :

تنطوي أعمال النقل البحري على أنشطة غاية في الأهمية من حيث التقنية البحرية والأساليب الادارية . فهي تتطلب قدراً كبيراً من الدراية ، والخبرة ، وسبق الأحداث ،

ودراسة المتغيرات الوثيقة الصلة بالتطورات النوعية في التجارة الدولية ، وأساليب النقل البحري ، ومتطلبات العملاء ، والوقوف على كل ما يستجد في حقل المعدات والأجهزة البحرية . ناهيك عن بناء علاقات وثيقة بالعملاء من تجار ورجال أعمال ومؤسسات عن طريق توفير أفضل الخدمات والتسهيلات ، في وقت يشتد فيه التنافس بين شركات النقل البحري . ولهذا كله فان الشركة الوطنية السعودية للنقل البحري ، ممثلة بمجلس ادراتها ، المكون من سبعة أعضاء ، برئاسة الشيخ محمد العبد الله الصقير ، قد أولت هذه الأمور جل عنايتها واهتمامها ، حينما شرعت في تصريف مهام الشركة . فأوجدت جهازاً ادارياً ديناميكياً ، على رأسه الدكتور عبدالعزيز التركي ، الذي بذل جهداً كبيراً في تنظيم أجهزة الشركة وأقسامها ، التي أنيط بكل قسم منهـــا مهام محددة . هذا وقد أختير أفراد هذه الأجهزة من ذوي الكفاءات العالية والخبرة الطويلة في مجالات النقل البحري ، الأمر الذي يعكسه النجاح الذي حققته الشركة في غضون فترة وجيزة من عمرها. ولكي تضمن ادارة الشركة المستوى الرفيع من الأداء ، فقد فتحت لها مكاتب وفروعا في البلدان التي تصلها سفنها كالولايات المتحدة الأمريكية ، والمملكة المتحدة ، وبلدان الشرق الأوسط ، واليابان ، فضلاً عن تعيين وكلاء لها في كثير من المدن والموانىء التي تؤمها بواخر الشركة . ففي المملكة المتحدة فتحت الشركة لها مكتباً في « بول » نظراً لموقع بريطانيا الجغرافي ، وارتباطها بكافة دول العالم تجارياً ، ولمكانتها البحرية العالمية . وقد زودت هذا المكتب بخبراء عالميين أكفاء للاضطلاع بالمهام العملية والفنية ، والاشراف فنياً على بناء البواخر الجديدة . ونظراً لأن الشركة بدأت بتسيير أول خط لها بين موانىء الولايات المتحدة الأمريكية وموانىء المملكة العربية السعودية وبعض موانىء الخليج العربي ، لذا كان من الضروري انشاء مكتب لها في نيويورك ، وآخر في هيوستن ، لمتابعة أعمال الوكيل العام والقيام ببعض الأعمال التسويقية للشركة . وعندما دشنت الشركة خطها الرئيسي الثاني الذي يربط المملكة ببلدان الشرق الأقصى فتحت لها مكتباً في مدينة طوكيو للاضطلاع بأعمال الشركة في اليابان . وانطلاقاً من حرص الشركة على خدمة الوطن والمواطنين في مجال النقل البحري ، فقد ارتأت ادارتهـــا انشاء




مدير عام الشركة ، الدكتور عبد العزيز محمد التركي ، إلى اليمين ، يشير إلى الخطوط الملاحية الرئيسية التي تسلكها سفن الشركة .

فروع لها في كل من جدة والدمام . ويتولى فرع جدة استقبال بواخر الشركة في ميناء جدة الاسلامي وتسليم الشحنات الى أصحابها ، بالاضافة الى تغطية الموانىء السعودية على البحر الأحمر كميناء ينبع وغيره من الموانىء . أما فرع الدمام فيتولى أعمال الشركة في الجزء الشرقي من المملكة ، وتغطية الموانىء السعودية على الخليج كميناء الملك عبد العزيز بالدمام ، وغيره من الموانىء على الخليج العربي كميناء الجبيل وميناء رأس المشعاب وغيرها من الموانىء .

هذا ولدى الشركة فضلا عن الادارة العامـــة ، أقســـام تتولى تصريف أعمالهـــا منها قسم العمليات ، والقسم الفني ، والقسم الاداري ، وقسم الشؤون المالية ، وقسم التسويق . وقد أنيطت بهذه الأقسام أعمال مختلفة ، يتم التنسيق بينها على نحو يخدم أغراض الشركـة ومصلحة عملائها .

## تطلعات مستقبلية :

نظراً لمكانة المملكة العربية السعودية كأكبر مصدر للنفط وسوائل الغاز الطبيعي في العالم ، وانطلاقاً من السياسة الحكيمة التي تنتهجها الدولة في تصنيع البلاد ، فان المجال واسع أمام الشركة الوطنية السعودية للاسهام في نقل السلع والمعدات والمواد التي تحتاج اليها الدولة ، علاوة على نقل البضائع التي يستوردها التجار ورجال الأعمال في المملكة ودول الخليج العربية . ولمواجهة متطلبات المنطقة ، فان الشركة قد قامت بوضع برنامج يخدم سياستها المستقبلية ويزيد من عدد قطع أسطولها البحري ، الذي سيعمل على تقوية عرى التعـــاون التجـــاري بين المملكة وأمريكـــا الشماليـــة وأوروبا والشرق الأقصى . وقد قامت الشركة بتبني خطة لتوظيف الأيدي العاملة الخبيرة والمتخصصة في مجال النقل البحري ، لتقوم بتدريب الأيدي الوطنية السعودية ، وتعزيز أطقم بواخرها بالبحارة ، والقباطنة ، والمهندسين والفنيين البحريين ، والاداريين المختصين بشؤون النقل البحري ، من السعوديين . هذا وتقوم الشركة بتوفير الفرص للشباب السعودي للتدرب على علوم الملاحة البحرية ، عن طريق ابتعاثهم الى الأكاديميات البحرية في الوطن العربي ، وأوروبا ، وأمريكا . كما قامت الشركة مؤخراً بتخصيص جزء من الباخرة « سعودي تبوك » الجديدة ليكون بمثابة قسم للتدريب العملي على الباخرة .

هذا وتتطلع الشركة الى القيام بنقل صادرات المملكة وخاصة البتروكيميائيات ، ونقل المواد السائبة والسيارات . والشركة الوطنية السعودية للنقل البحري ، اذ تتطلع الى بلوغ أهدافها وطموحاتها الكبيرة ، فان ما حققته من نجاح خلال فترة قصيرة من عمرها ، يدفعها الى مضاعفة جهودها لتتبوأ مركزاً مرموقاً بين شركات النقل البحري العالمية □

تصوير : شيخ أمين

# في جنة الحب والغزل

قليلون هم الشعراء الأغنياء الذين سرقهم الشعر من قصورهم الباذخة ، فأغنى الشعر نفوسهم ، وأغنوه بالترف من ترفهم ، فرقّ لهم وطاع ، وجاء مترفاً مثل ترفهم ، رخيّاً مثل رخائهم .

من هؤلاء الشعراء المترفين ، أبناء القصور الباذخة ، شاعرنا البهاء زهير ، المكي الأصل والمولد ، والمصري النشأة والمواطنة ، والأيوبي الوزارة والولاء .

ولد بهاء الدين أبو الفضل زهير بن محمد المهلبي في وادي نخلة ، قرب مكة ، سنة ٥٨١ هـ ، ويرجع نسبه الى المهلّب ابن أبي صفرة . ونزحت أسرته الى مصر وهو صغير ، وأقامت في مدينة قوص . فلما كبر وظهر نبوغه ، اتصل بالملك الصالح ابن الملك الكامل أيوب ، وانتقل معه الى دمشق ، وأقام في خدمته . فلما اعتقل الصالح في قلعة الكرك ، أقام البهاء زهير في نابلس محافظاً على وده . ولم يزل كذلك حتى عاد الملك الصالح ملكاً على مصر ، فقدم عليه هناك وأخلص في خدمته . وكان عنده أثيراً كبير القدر ، لا يطلّع على سره غيره . فلما مات الصالح انقطع البهاء في داره .

ثم نزل بالقاهرة طاعون في سنة ٦٥٦ هـ أودى بحياة كثيرين ، ولم يسلم منه البهاء . فلم تكد تمضي أيام على اصابته بالطاعون حتى وافاه الأجل يوم الأحد الرابع من شهر ذي الحجة عام ٦٥٦ هـ .

جاء البهاء زهير في زمن كانت فيه الصناعة اللفظية هي السائدة في الأدب ، نثراً وشعراً ، فكان الكاتب المبدع والشاعر المجيد هو من كثّر في شعره ونثره الزخرف والصناعة اللفظية : من سجع ، وطباق ، وجناس ، وتورية ، ومن مجازات مصنوعة ، وكنايات واستعارات متكلفة ظاهرة الصنعة . وكان لا بد له من مجاراة هذه الصناعة الزخرفية في الشعر مسايرة للعصر . ولكنه اذا كان قد أغرق فيها في بعض شعره ، فانه لم يبالغ فيها في قسم كبير من شعره ، ولا سيما في الغزلي منه .

وصحيح أن البهاء قد نظم كثيراً من الشعر في المدح والوصف والهجاء والألغاز ولكنه لم يشتهر في ذلك كله مثلما اشتهر في شعر الغزل والهوى واللهو . وربما كان الذي وهبه رقة الغزل هو حالة الترف التي عرفها في حياته ، حتى أن أوصافه أحياناً كانت دالة على حالة النعيم التي يحياها ، وكانت منتزعة من صورها الواقعية .

في الغزل واللهو كان يرق شعر البهاء زهير ويجود ، حتى كأنه النجوى الهامسة ، والمناجاة الحلوة . ونلاحظ أن الشاعر أميل الى الحب العذري في غزله .

يقول في قصيدة له عنوانها – في الديوان – « نظرة قبل الرحيل » :

**أأحبابنا ! ماذا الرحيل الذي دنا ؟**
**لقد كنتُ منه دائماً أتخوّفُ**
**هبوني قلباً إن رحلتم أطاعني**
**فانّي بقلبي ذلك اليوم أعرفُ**
**تعالوا بنا نسرق من العمر ساعة**
**فنجني ثمار الوصل فيها ونقطفُ**

ثم يقول :

**وكم ليلة بتنا على غير ريبة**
**يحف بنا فيها التقى والتعفّفُ**
**تركنا الهوى لمّا خلونا بمعزل**
**وبات علينا للصبابة مشرفُ**

# ع البهاء زهير

بقلم : د. عيسى الناعوري / الأردن

ظفرنا بما نهوى من الأنس وحده
ولسنا الى ما خلفه نتطرف
سلوا الدار عمّا يزعم الناس بيننا
لقد علمَت أنّي أعفُ وأظْرُفُ
وهل أنستْ من وصلنا ما يشيننا
وينكره منّا العفاف ويأنفُ ؟
سوى خصلة ، نستغفر الله أننا
ليحلو لنا ذاك الحديث المزخرفُ
لحا الله قلباً بات خلوا من الهوى
وعينا على ذكر الهوى ليس تذرفُ !
واني لأهوى كل من قيل عاشق
ويزداد في عيني جلالا ويَشْرُفُ !

انه ليعيينا أن نبحث عن الصناعة اللفظية المتكلفة — صناعة العصر — في هذه الأبيات كلها ، فهي أبيات رقيقة العبارة ، عذبة الوقع في النفس ، تحس الصدق يتنفس في كل كلمة فيها . وليس مهماً أن تصدق أن في الحب عذرية — بمعنى العفة ، لا بمعنى النسبة الى بني عذره — أم أن العذرية قناع للشعر فقط — وفي يقيني انها كانت دائماً كذلك لدى الشعراء الذين ننعتهم بالعذريين ، وما كانت قط عفة صادقة . . . المهم هو جمال الشعر ورقته وعذوبته . ونحن واجدون كل ذلك في هذه الأبيات القليلة الحلوة .

ومثلما يرقّ شعر البهاء زهير ويعذب في الصبابة والغزل ، يرقّ كذلك ويعذب في وصف مجالس الأنس واللهو والهوى .

يقول الشاعر في قصيدة عنوانها « الانابة والرجوع » — والعناوين كلها من عند المحققين ، وليست أصيلة في الديوان ، أو في شعر الشاعر :

أمذكري عهد الصبا
بعد الانابة والرجوع
أذكرتني أشياء من
زمن تَرَكْتُ به ولوعي
أشياء ذُقتُ لفقدها
ألم الفطام على الرضيع

جميلة جداً هذه العبارة « ألم الفطام على الرضيع » . . وهي صورة من حالات النفس في موقف معين قلّ أن يرد مثلها في شعر الشعراء . انها غاية في الصدق وفي جمال الصورة ودقة التعبير عن الحالة النفسية التي يكون فيها الشاعر في مثل الموقف الذي يصفه البهاء زهير في هذه الأبيات .

ثم يضيف الشاعر مفصلا بعض الأشياء التي فطمته عنها سنّه في الكبر .

ولكم طربتُ الى الربيع
بفتية مثل الربيع
وفضحت أزهار الرياض
بحسن أزهار البديع
وسهرت في ليل الصبا
سهراً ألذ من الهجوع
وطرقت خدر الكاعب الحسناء والخود الشموع
ثم ارعويت وصرت في
حد السكينة والخشوع
فزهدت في هذا وذا
فقل السلام على الجميع !

وهنا أيضاً تحس دون ريب بأن ليس في القصيدة

# في جنة الحب والغزل مع البهاء زهير

شيء من أثر الصناعة اللفظية والزخرف الكلامي ، وأنك مع شاعر يعبّر عمّا يحسّ به دون تكلّف ولا خشية ولا وجل : انّه شاعر صادق ، وشعره عذب رقيق ، وعبارته متخيّرة أنيقة ، وذاك هو شفيعه — ان يكن بحاجة الى شفيع .

ولعل هذا التفرد في جودة الشعر ، وبعده عن الصناعة ، في عصر الصناعة والزخرف ، يعطي الشاعر ميزة كبيرة على شعراء عصره في سلامة الذوق ، وفي أصالة الشاعرية .

أما في الغزل فيقول الشاعر :

**فيا غائباً ، ما غاب الا بوجهه**
**ولي أبدا شوق له وولوع**
**أأحبابنا ! هل ذلك العيش عائد**
**كما كان اذ أنتم ونحن جميع ؟**
**وقلتم : « ربيع موعد الوصل بيننا »**
**وهذا ربيع قد مضى وربيع ! !**

ويقول أيضاً :

**حبيبي ! على الدنيا اذا غبت وحشة**
**فيا قمري ، قل لي متى أنت طالع ؟**
**سروري أن تبقى بخير ونعمة**
**واني من الدنيا بذلك قانع**
**وغيرك ان وافى فما أنا ناظر**
**اليه ، وان نادى فما أنا سامع**

أحقاً ما يقوله الشاعر هنا في البيت الأخير من أنه لا ينظر الى غير حبيبته ، ولا يسمع غير ندائها ، وهو الذي اعتاد ان يكون كالنحلة ، يحط على كل زهرة ، ويرشف الرحيق من كل بستان جني ؟

حتى الكذب هنا يأتي رقيقاً عذباً ، ويرنّ في القلب رنين الصدق . وهكذا يكون الغزل رقيقاً عذباً في صدقه وفي كذبه متى كان أصيلا . وقديماً قيل « أعذب الشعر أكذبه » — وان كان هذا لا يصدق الا في النادر . . . لقدكان البهاء زهير شاعر العشق حيثما وجده ( وهو واجد منه ما شاء ، حيثما يشاء . . . ) .

يقول في قصيدة ( موقف وداع ) :

**وقائلة لمّا أردت وداعها :**
**« حبيبي ! أحقاً أنت بابين فاجعي ؟**
**فيا رب ! لا يصدق حديث سمعته !**
**لقد راع قلبي ما جرى في مسامعي »**
**وقامت وراء الستر تبكي حزينة**
**وقد نقبته بيننا بالأصابع**
**بكت فأرتني لؤلؤاً متساقطاً**
**هوى فالتقته من فضول المقانع**
**فلما رأت أن الفراق حقيقة**
**وأني عليه مكره غير طائع**
**تبدت ، فلا والله ما الشمس مثلها**
**اذا أشرقت أنوارها في المطالع**
**تسلّم باليمنى عليّ اشارة**
**وتمسح باليسرى مجاري المدامع**

وبعد .

فحسبنا هذه الباقة الصغيرة العطرة من شعر البهاء زهير الغزلي الذي مضت الأجيال وما يزال عبيره شهياً سائغاً . وكذلك يكون الشعر الأصيل الخالد □

# رحلة عمر...

شعر: محمّد عبد الغني حسن/ القاهرة

بأيّ أيامي هُنا تَحْتفينْ ؟ … يا سَلْوة العمر وأنسَ السنينْ ؟

بيوم ميلادي الذي تَرْقُبين … أم يوم ميعادي الذي تحذرينْ ؟

سيّان عندي البدءُ والمنتهى … وكلّ ما كان ، وما لا يكونْ ..!

ما هذه الرحلةُ ؟ ما شأنُها ؟ … من أين جئنا ، وإلامَ الركونْ ؟

في ظلمة الأرحام لم نَستبن … وفي ظلام القبرِ هل نَستْبين ؟

خُطىً مشيناها . . . ولمّا نزلْ … نمشي ، ونخطُو مثل خَطْوِ السجينْ

القَيْدُ في أوصالنا راسِفٌ … والغُلّ في أعناقِنا لا يلينْ

طريقُنا المرسومُ لم نَعْدُهُ … الى شِمالٍ مرة أو يمينْ . .

نَنفّذُ المحتومَ من أمرِنا … وننجزُ المكتوبَ فوق الجبينْ

يجري قضاء الله من فوقِنا … في قَدَرٍ ماضٍ ، وحُكمٍ رصينْ

وكلّ حكمٍ أصدَرَتْهُ السّماء … لا بدّ يوماً أن تراهُ العيونْ

° ° °

على مدى الرحلةِ لَمّا تَزلْ … لي فضْلَةٌ محجوبةٌ لا تبينْ

قد جئت للدنيا ولم أستَشَرْ … ولم يكنْ رأيٌ لهذا الجنينْ

يا ويحَهُ ، هانَ فلم يُستَخَرْ … لأنه دفقةُ ماء مَهينْ

وأتركُ الدنيا . . ولا رأي لي … الا المُسَمّى في كتابٍ مُبينْ . .

لو أنني خُيِّرْتُ في رحلتي … ما اخترتُ الا ظُلُمات البطونْ . .

كلاهُما سِجنٌ . . . ولكنّني … أحِس في الدنيا عذاب السّجونْ . .



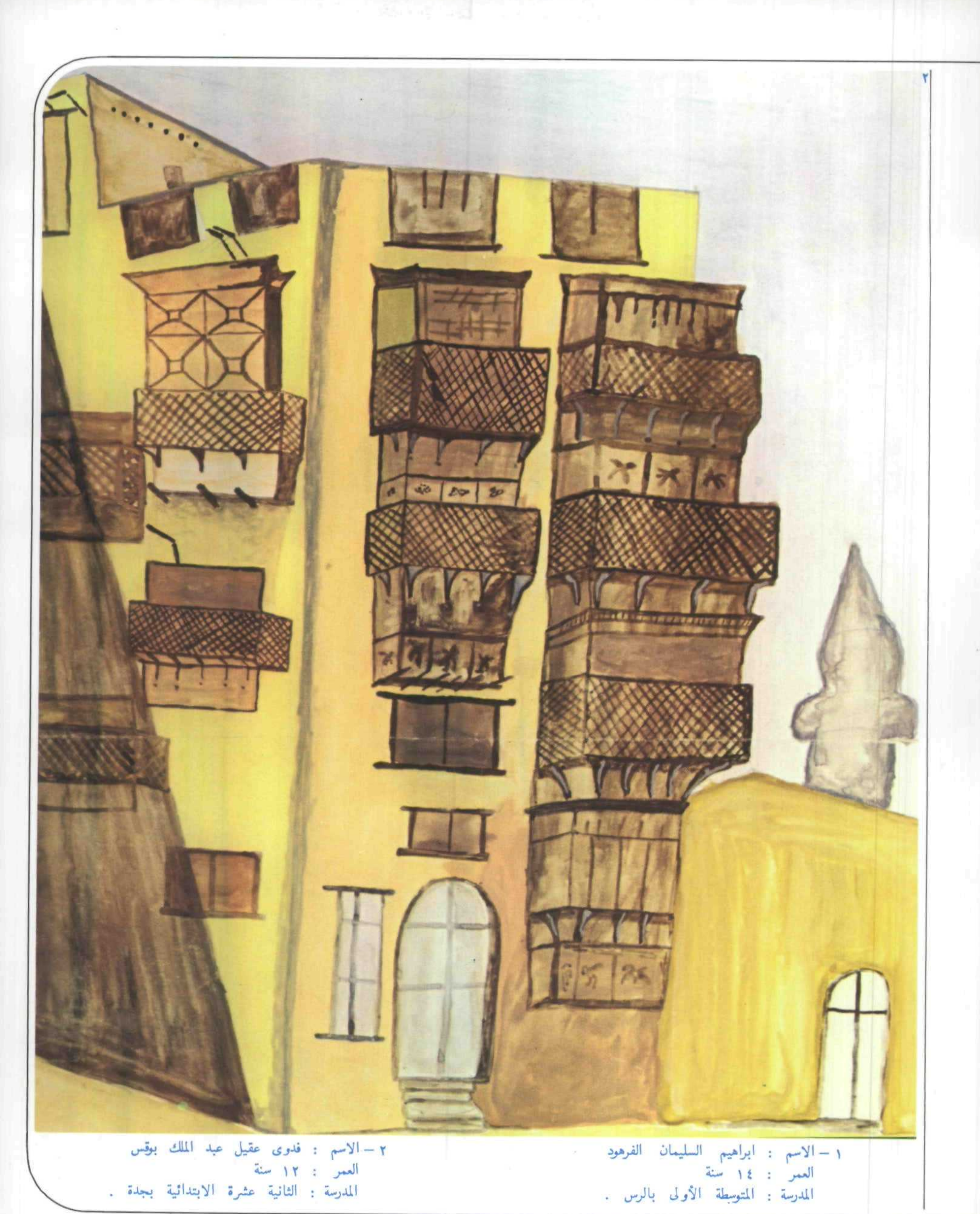
# أرامكو تجري المسابقة السنوية الرابعة للأطفال في الرسم

درجت ادارة العلاقات العامة بأرامكو في مطلع كل عام دراسي ، على تنظيم مسابقة سنوية في الرسم للأطفال في مختلف مدارس المملكة . وامتداداً لهذه التجربة الناجحة وتشجيعاً منها لتنمية المواهب الفنية لدى الأطفال ، قامت ادارة العلاقات العامة خلال هذا العام بتنظيم المسابقة السنوية الرابعة في الرسم .

وعلى هذه الصفحات يطالع القارىء مجموعة من اللوحات والرسومات التي بلغ عددها سبعين لوحة والتي وقع عليها الاختيار من بين ما يربو على ألفي لوحة من الرسوم الجيدة التي تمثل نماذج مختلفة لأنماط الحياة ، والبيئة ، والتقاليد الموروثة ، والصناعة ، والمدن المزدهرة ، والصحارى المترامية ، والحقول اليانعة ، والتي نستشف من خلالها نظرة الأمل والتفاؤل المتجسدة في تصورات هؤلاء الأطفال وتخيلاتهم البريئة الوديعة .

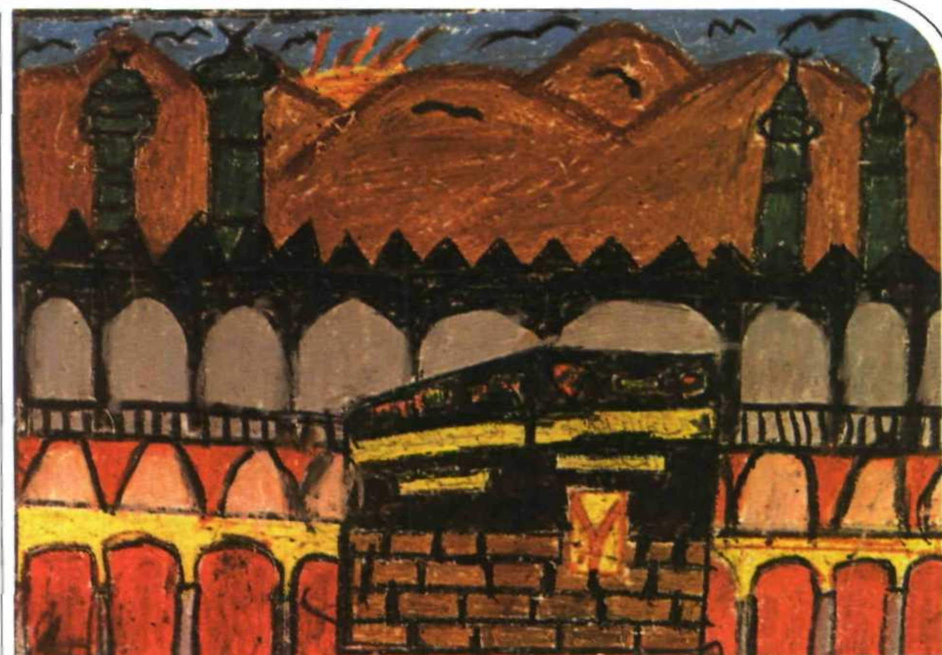
وادارة العلاقات العامة بأرامكو ، اذ تهنىء الأطفال الفائزين في هذه المسابقة السنوية الرابعة ، لتأمل في أن تواصل ، باذن الله ، تنظيم المزيد من هذه المسابقات وذلك تشجيعاً منها لتنمية المواهب الفنية لدى أطفالنا في مدارس المملكة □

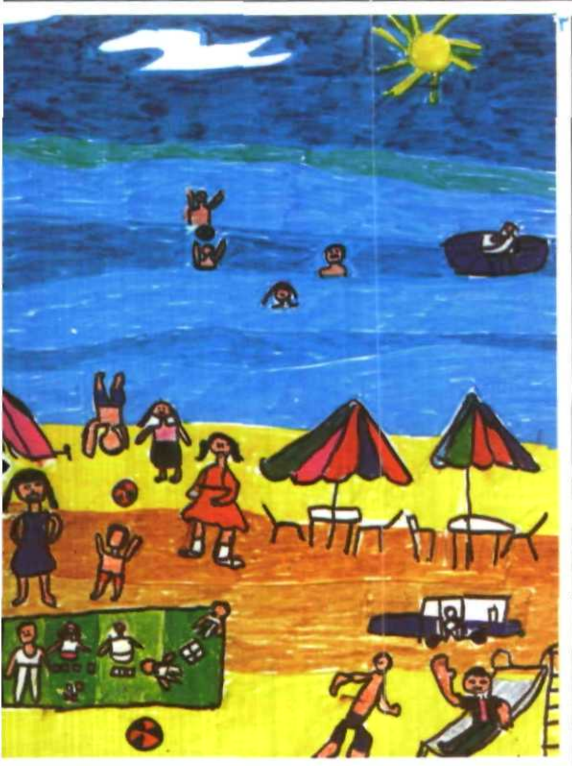




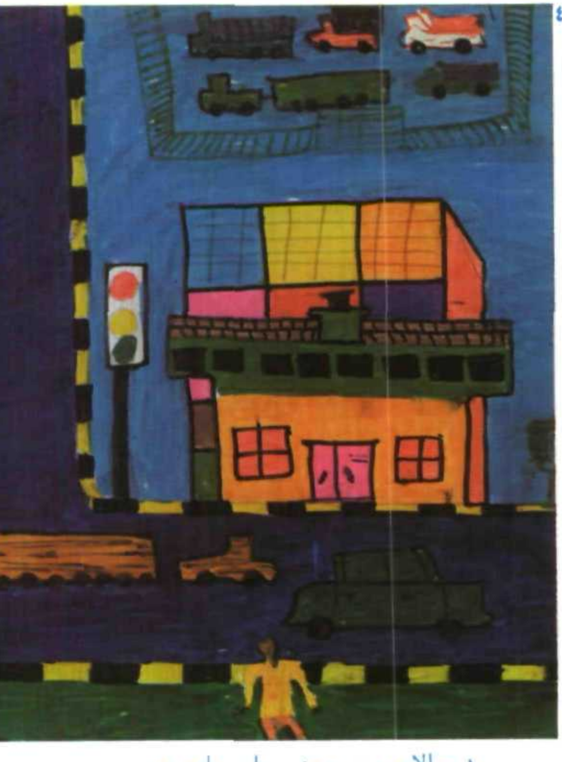
١ – الاسم : ابراهيم السليمان الفرهود
العمر : ١٤ سنة
المدرسة : المتوسطة الأولى بالرس .

٢ – الاسم : فدوى عقيل عبد الملك بوقس
العمر : ١٢ سنة
المدرسة : الثانية عشرة الابتدائية بجدة .







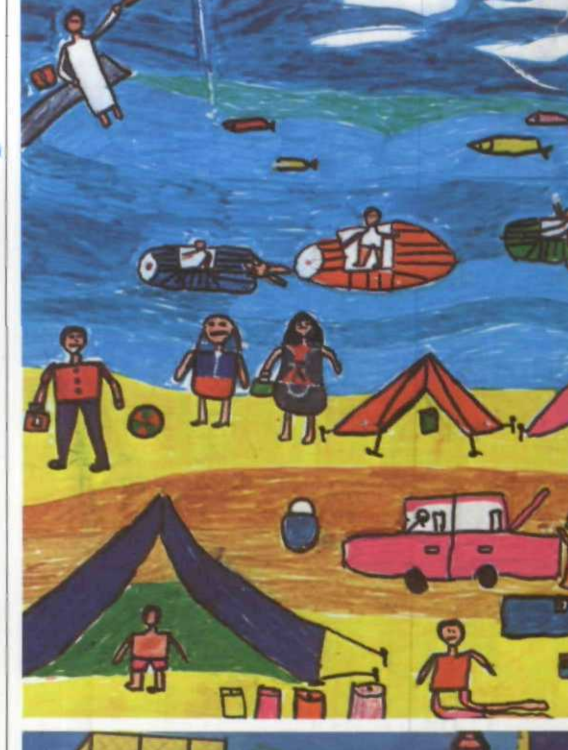


١ – الاسم : حسن علي باصريح
العمر : ١٠ سنوات
المدرسة : الحرمين الابتدائية بالخبر

٢ – الاسم : فاطمة محمد عبد الرحمن العريني
العمر : ١٤ سنة .
المدرسة : المتوسطة « ٤٤ » للبنات / الرياض

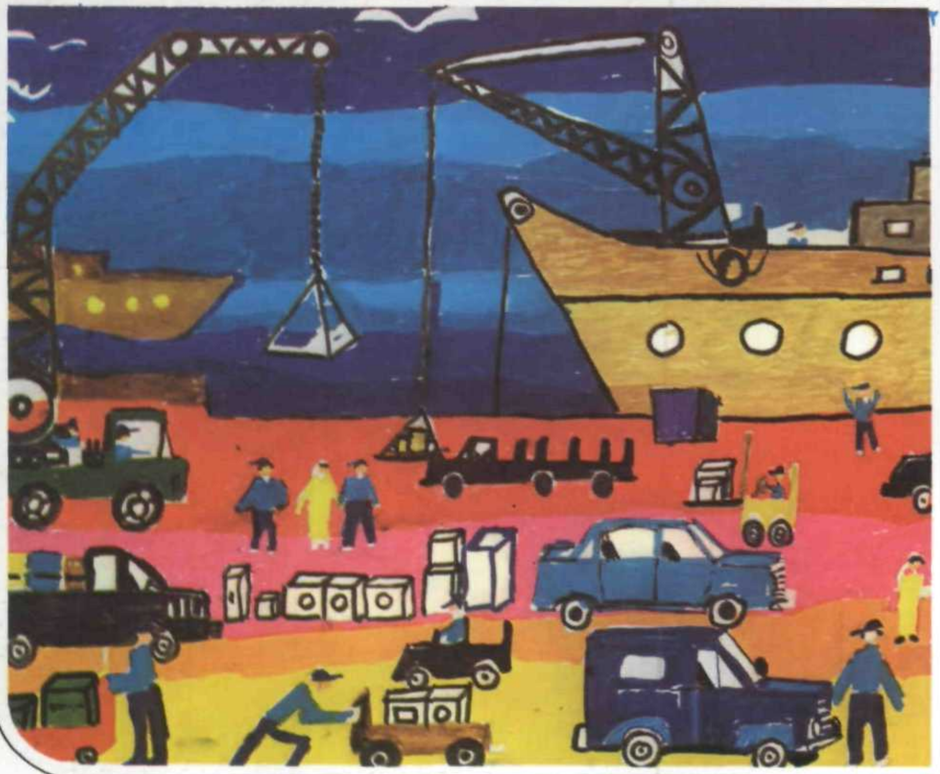
١ – الاسم : خالد حسين خالد خير الدين
العمر : ١٣ سنة
المدرسة : الدمام المتوسطة
الموضوع : منظر من شوارع الدمام

٢ – الاسم : طارق ابراهيم حمودة
العمر : ١١ عام ، ٤ شهور
المدرسة : العدامة المتوسطة بالدمام
الموضوع : العمل في الميناء البحري.



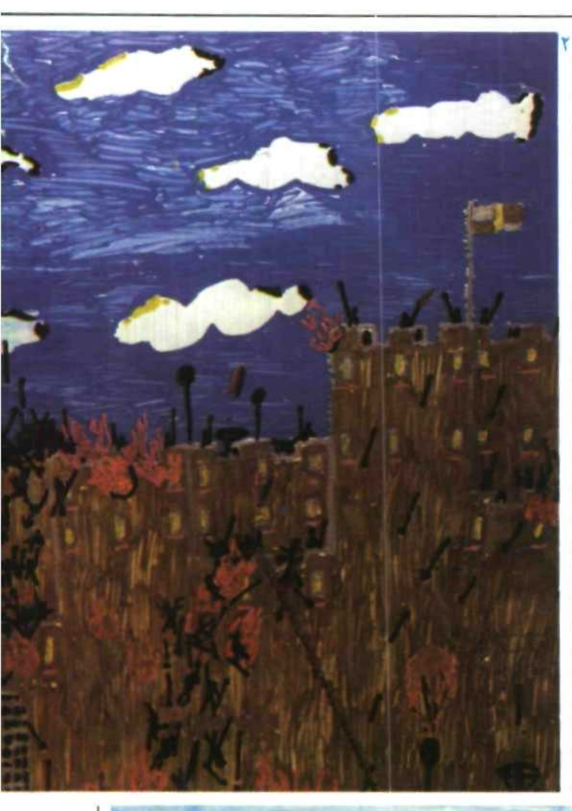




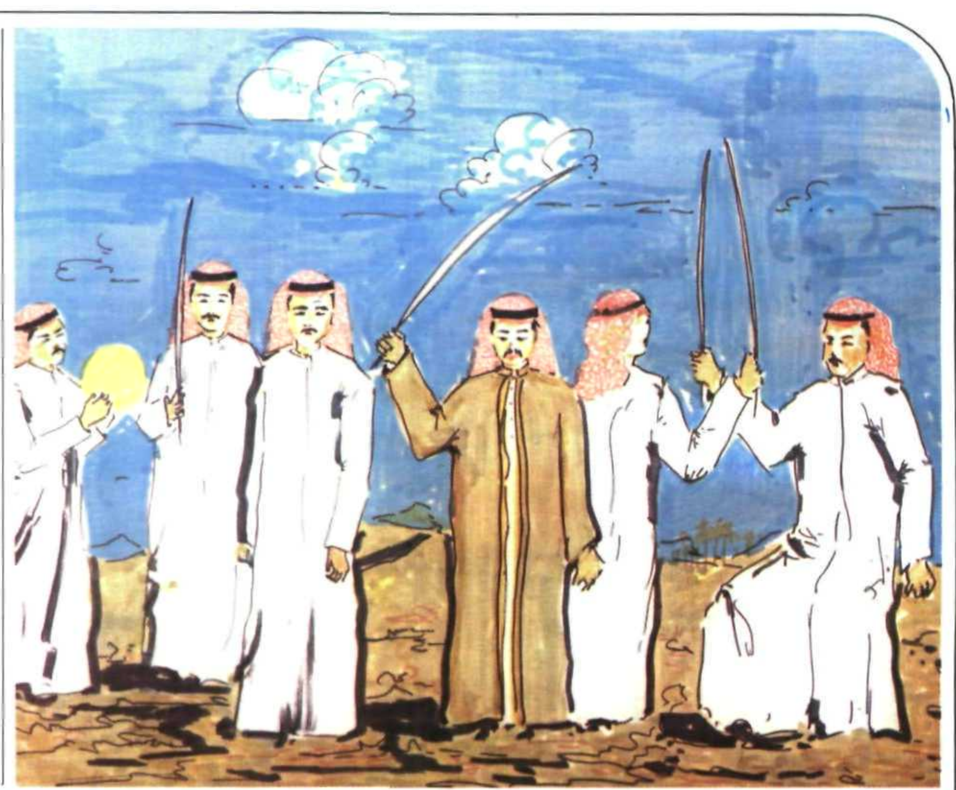


٣ – الاسم : سها ابراهيم حمودة
العمر : ٨ سنوات ، ٦ شهور .
المدرسة : الروضة الحديثة بالدمام
الموضوع : شاطىء البحر

٤ – الاسم : محمد علي قاسم الشري
العمر : ١٠ سنوات
المدرسة : الصديق الابتدائية / سكاكا
الموضوع : شارع عام .

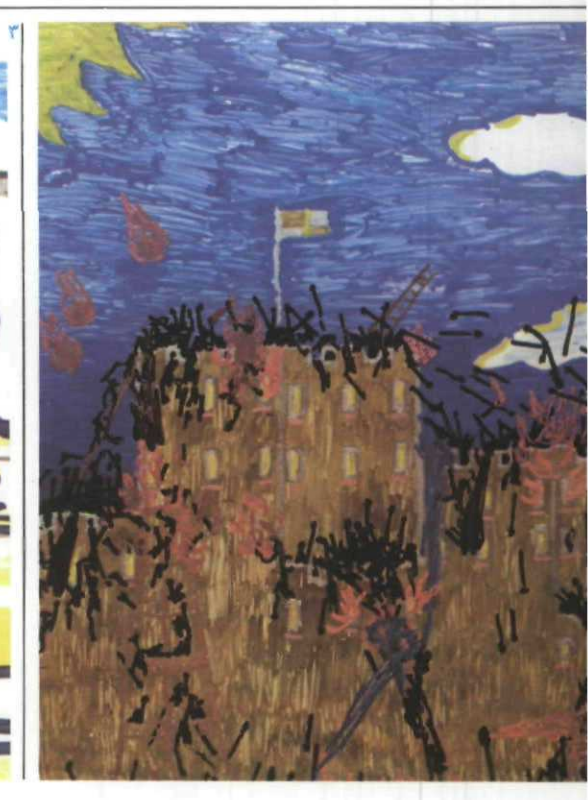


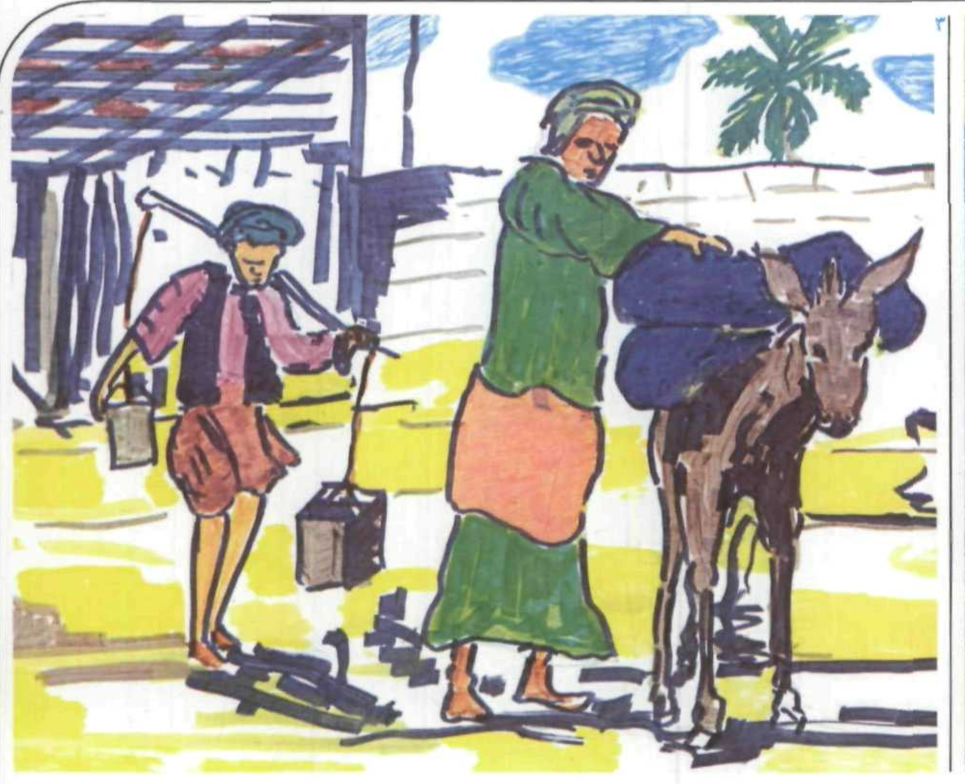
٢



١

٤






## أسماء الفائزين والفائزات في مسابقة أرامكو السنوية الرابعة للأطفال في الرسم والتصميم

| الاسم | المدرسة | الجهة |
|---|---|---|
| إبراهيم سليمان إبراهيم اليحيى | مدرسة مدينة الجبيل الصناعية الابتدائية | الجبيل |
| أساوين مالشبوت | منارة جدة الأولى | جدة |
| أنيسة القاضي | مدارس الرياض الأهلية | الرياض |
| إيهاب أحمد خليفة | مدرسة الحرمين الابتدائية | الخبر |
| أوليفيا مختار حفناوي شلبي | مدرسة القطيف المتوسطة النموذجية | القطيف |
| أمل محمد عبدالرحمن العرياني | المدرسة ٤٤ المتوسطة للبنات | الرياض |
| أسامة هاشم محمد هاشم | مدارس الرياض الأهلية | الرياض |
| أمل محمد سعد أبوعايشة | | بقيق |
| إبراهيم السليمان الفرهود | المدرسة المتوسطة لأولى بالرس | القصيم |
| أحمد يحيى حمد الذكير | مدرسة الدمام المتوسطة | الدمام |
| أمل محمد آل الشيخ | مدارس الرياض الأهلية | الرياض |
| أريج عبدالله الدهش | مدارس الرياض الأهلية | الرياض |
| أحمد عايد العقبل | مدرسة الملك خالد الابتدائية بسكاكا | الجوف |
| أحمد عبدرب الرسول الثاروتي | مدرسة مدينة الجبيل الصناعية الابتدائية | الجبيل |
| بدر محمد عارف | منارة الشرقية | الخبر |
| بندر مطر دخيل العتيبي | مدارس الرياض الأهلية | الرياض |
| تمام عبدالرزاق الحاجة | مدرسة تحفيظ القرآن الكريم | حفر الباطن |
| حاتم سليمان شلبي | منارة جدة الأولى | جدة |
| حسن علي باصريح | مدرسة الحرمين الابتدائية | الخبر |
| حسام محمد رشاد | مدرسة عمر بن عبدالعزيز المتوسطة | الطائف |
| حنان عبدالله الصقر | المدرسة ١٣٠ للبنات | الرياض |
| خالد جمعان مبارك | مدرسة مدينة الجبيل الصناعية | الجبيل |
| خلود عبدالعزيز محمد الدخيل | مدارس الرياض الأهلية | الرياض |
| خالد أنيس عبداللطيف | منارة الشرقية | الخبر |
| خالد سليمان المرشد | مدرسة الصديق الابتدائية بسكاكا | الجوف |
| خالد حسين خالد خير الدين | مدرسة الدمام المتوسطة | الدمام |
| رافع عايد تركي | مدرسة العزيزية الابتدائية | عرعر |
| رشا أحمد قاسم | مدرسة الأبناء المتوسطة | الرياض |
| زياد خليوي | مدرسة صوير الابتدائية بسكاكا | الجوف |
| سيد أمني | منارة جدة الأولى | جدة |
| سها إبراهيم حمودة | مدرسة الروضة الحديثة | الدمام |
| شروت مختار حفناوي شلبي | مدرسة القطيف المتوسطة النموذجية | القطيف |
| صلاح عبدالله الهويشل | مدرسة مصعب بن عمير الابتدائية | الدمام |
| طارق أبو الغنم | مدرسة الملك عبدالعزيز | الجوف |

| الاسم | المدرسة | الجهة |
|---|---|---|
| طارق إبراهيم حمودة | مدرسة الدمام المتوسطة | الدمام |
| علي أحمد العايد | مدرسة الفاروق المتوسطة بسكاكا | الجوف |
| علي السيد عبدالوهاب السيد علي الحايي | مدرسة التويثير الابتدائية | الأحساء |
| عبدالله خميس محمد الزايدي | مدرسة الملك فيصل المتوسطة | الطائف |
| علي فياض حسين | مدرسة التابلاين | رفحا |
| عبدالرحمن علي سعيد الغامدي | المدرسة المتوسطة النموذجية | بقيق |
| عبدالله سالم | مدرسة متوسطة طبرجل | الجوف |
| فدوى عقيل عبدالملك بوقس | المدرسة الثانية عشر الابتدائية للبنات | جدة |
| فاطمة محمد عبدالرحمن العريني | المدرسة ٤٤ للبنات | الرياض |
| فايز الهريش مندبل | مدرسة متوسطة قارا بسكاكا | الجوف |
| فيصل عبدالرحمن محمود داود | مدارس الرياض الأهلية | الرياض |
| كامل هليل مهاوش | مدرسة العزيزية الابتدائية | عرعر |
| لينا نزار الكردي | مدارس الرياض الأهلية | الرياض |
| ليلى منوار | مدارس جامعة البترول والمعادن | الظهران |
| مشعل منصور أحمد باحسين | مدارس الرياض الأهلية | الرياض |
| محمد حزام فارع حميد | مدرسة طارق بن زياد الابتدائية | جدة |
| محمد سالتوك | منارة جدة الأولى | جدة |
| محمد عبدالله مانع الشامسي | مدرسة عثمان بن عفان | الدمام |
| مروة جمال السيد الباجوري | | الرياض |
| مشعل محمد الفرحان | مدرسة متوسطة دومة الجندل بسكاكا | الجوف |
| محمد إبراهيم محمد السعيد | مدرسة متوسطة الواقدي | الرياض |
| مرجي عبيدات | مدرسة الإمام الشافعي الابتدائية بسكاكا | الجوف |
| محمد علي قاسم الشرى | مدرسة الصديق الابتدائية بسكاكا | الجوف |
| ماجد حقيل محمد الحقيل | مدرسة الدمام المتوسطة | الدمام |
| نبيل محمد نور الجناحي | مدرسة الدمام المتوسطة | الدمام |
| نوره سليمان الفرهود | المدرسة الرابعة الابتدائية للبنات بالرس | القصيم |
| نهله حسين فرغل | مدرسة دار الحنان | جدة |
| نجلاء عبدالله ناصر الصقر | | الرياض |
| نعيمة حسين أحمد آل مبارك | المدرسة الخامسة الابتدائية للبنات | سيهات |
| هيفاء أحمد سعيد العجمي | مدارس الرياض الأهلية | الرياض |
| هالة علي عبدالعزيز العمير | مدارس الرياض الأهلية | الرياض |
| وائل أحمد محمد نعمت | مدارس الرياض الأهلية | الرياض |
| وجدي عبد القادر سيف | مدرسة الإمام الغزالي المتوسطة | الرياض |
| وليد محمد رشاد محمد مصطفى | مدرسة عمر بن عبدالعزيز المتوسطة | الطائف |
| يعقوب عبدالعزيز عبدالله المرشد | مدرسة عمر بن عبدالعزيز الابتدائية | الرياض |
| يحيى علي العميري | مدرسة متوسطة الملك خالد | الرياض |

١ – الاسم : أحمد يحي حمد الذكير
العمر : ١٢ سنة
المدرسة : الدمام المتوسطة
الموضوع : الفن الشعبي

٢ – الاسم : محمد سالتوك
العمر : ١٠ سنوات
المدرسة : منارة جدة الأولى

٣ – الاسم : ماجد حقيل محمد الحقيل
العمر : ١٤ سنة
المدرسة : الدمام المتوسطة
الموضوع : من التراث الشعبي .

٤ – الاسم : كامل هليل مهاوش
العمر : ١١ سنة
المدرسة : العزيزية الابتدائية / عرعر

# اللغة بين ال

أشرنا في الحلقة السابقة الى أن كثيراً من الناس — عامتهم وخاصتهم على سواء — يأخذون اللغة كما لو كانت شيئاً طبيعياً ، ولا يحاولون النظر فيها أو في أسرارها وفي دورها الحيوي على مستوى الفرد والمجتمع جميعاً . ونود هنا أن نزيد القول ايضاحاً فنأتي الى ذلك الرأي الخاطىء الذي لا يكتفي بعدم الاهتمام بها ، وانما يقف منها موقف الاستخفاف والحط من شأنها ، ويسمها بسمات هي منها براء في جوهرها وحقيقة أمرها .

ليس من النادر أن تصل الى أسماعنا عبارات من نحو قولهم : « الأفعال أقوى من الكلمات » أو « العبرة بالمنجزات لا بتنميق العبارات » . وهذا — في الحق — انما يدل على عدم فهم واع لدور اللغة في المجتمع . ذلك أن هذه النظرة الى اللغة لو صحت انما تنطبق على حالات خاصة ، حيث تلقى الكلمات دون وعي أو ادراك لقدسيتها أو خاصتها الأساسية ، وهي انسانيتها . ان هذه الكلمات وأمثالها لا تعدو أن تكون ضرباً من الضوضاء وليس لها من سمات الكلام الحقيقي أي نصيب . انها — في الأغلب الأعم — كلمات مضللة أو غير صادقة ، أو هي كلمات يقصد بها الى التزييف وتشويه الحقائق . ومع ذلك ، فهي في هذه الحالات قد أصابت أهدافها وأنجزت أغراضها من وجهة نظر صاحبها في أقل تقدير . ومن هنا يجوز لنا على وجه من التجوز والتسامح أن ننسب اليها قدراً من التأثير والفعالية ، شأنها في ذلك شأن الأعمال ، وان كان هذا التأثير وتلك الفعالية ينموان نمواً غير مقبول لارتباطهما بكلمات غير جديرة بالنظر والتقدير .

وأما قول « أبي تمام » :

**السيف أصدق أنباء مـــن الكتب**
**في حــــده الحـــد بين الجـــد واللعب**

فلا يناقض ما قررنا من قوة الكلمة وفاعليتها ، ولا يعني بحال أن الأفعال أقوى من الكلمات أو أشد منها بأساً . ان « ابا تمام » يشير بهذا البيت الى حالة معينة هي فتح « عمورية » ، وفيها تم النصر نتيجة لحرب فعلية واقعية ، لا نتيجة لأقوال المنجمين ، وهي المقصودة بكلمة « الكتب » في عبارة الشاعر العربي . وأقوال المنجمين لا يمكن أن تكون من تلك الكلمات التي ترقى الى شرف التأثير في الانسان والتي تحظى بالاحترام والتبجيل . اذن هذه الحالة خاصة لها ظروفها وملابساتها التي دعت الشاعر الكبير الى هذا القول .

على أن هذا الضرب من الكلام غير المسئول يقودنا في الحال الى حقيقة مهمة ، تستأهل النظر والتأمل ، تلك الحقيقة هي أن اللغة عنوان الانسان ودليل شخصيته : فبقدر ما تكون الكلمة صادقة خيرة ، وبقدر ما تكون واضحة معبرة أو شائقة في شكلها ومضمونها ، بقدر ما يكون لصاحبها من منزلة ومكانة في نظر الناس . انها حينئذ كلمة تدل على عقل راجح وثقافة عالية وشخصية متكاملة متزنة في التفكير والسلوك . وعلى العكس من ذلك تماماً حين تنحو الكلمة منحى غير موفق أو سطحياً تافهاً .

تتأكد لك صحة ما نقول حين يجلس اليك شخص لا تعرفه ، حيث تحار في تقديره والحكم على شخصيته ونوعية تفكيره وأنماط سلوكه . حتى اذا ما فتح فاه وتكلم استطعت في الحال أن تأتي عليه حكماً ، وأن تضعه موضعه اللائق به ، وفقاً لسلوكه اللغوي ، ذلك السلوك الذي يكشف عن حقيقته ويميط اللثام عن دخائله وتكوينه النفسي وموقعه الثقافي والاجتماعي .

وقديماً قالوا « لا تثن على الرجل قبل أن تسمعه يتكلم ، فان الكلام هو امتحان الرجال » . ويبدو أن هذه المعاني ونحوها كانت حاضرة في ذهن الشاعر

# الفرد والمجتمع

بقلم: د. كمال بشر / القاهرة

(٢)

العربي حين قال :

**لسان الفتى نصف ، ونصف فـؤاده**
**فلـــم تبق الا صورة اللحم والدم**

ومعناه — كما نفهم — أن اللغة والعقل ( وهو ما عبر عنه بالفؤاد هنا ) هما أهم خواص الانسان التي يمتاز بها من غيره من المخلوقات . وهما — فوق ذلك — ينبئان عن نفسيته ويشيران الى وضعه في المجتمع البشري .

ولنا أن نفسر البيت تفسيراً آخر في ضوء أحدث النظريات في اللغة ودراستها ، ان اللغة عند أصحاب هذه النظرة ذات جانبين : أحدهما ظاهري أو سطحي يتمثل في النطق والاداء الفعلي للكلام ، والجـــانب الآخر عقلي أو نفسي أو عميق ، يتمثل في الطاقة أو القدرة اللغوية الكامنة في الذهن والعقل . وبهذا يحق لنا أن نقرر صحة هذه القولة العربية الحكيمة المتمثلة في هذا البيت . فكأن الشاعر قصد الى بيان قيمة « اللغة » بشقيها ، غير أنه فصل في كلامه وأشار الى كل شق بأدائه أو موقعه . فسمى الشق الأول باللسان والثاني بالفؤاد او العقل . ومن هذا المنطلق يصح لنا أن نقول بدورنا : « لسان الفتى كل الفتى » وذلك على وجه من اثنين : أما أولهما فتفسيره أن « اللسان » في كثير من اللغات يطلق ويقصد به « اللغة » بشقيها المذكورين ، وتوضيح الوجه الثاني أن اللسان — في حالة اطلاقه على جانب الاداء الفعلي أو النطق فقط — لا يستمد مادته المنطوقة هذه من فراغ ، وانما يترجم مكنون النفس والعقل أو يعبر أداء ونطقاً عن الطاقة الانسانية ، ويحيل الجانب العقلي العميق للغة الى أحداث فعلية واقعية . فاللسان اذن جماع الأمرين معاً ، وما يصدر عنه أو به تمثيل صادق حقيقي « للغة » ، بأي معنى من المعاني فسرتها أو نظرت اليها . ولا يمكن أن نتصور انفصال « اللسان » — بمعنى الجانب الأدائي أو الظاهري للغة — عن الجانب العقلي أو العميق الا عندما يختل الأمر وتنقطع الصلة — لأي سبب من الأسباب — بين الجانبين . وهنا نصل الى وضع آخر يخرج الانسان من دائرة الأسوياء من البشر الى دائرة الشواذ المجانين .

كل هذه الأمور والحقائق وعاها العارفون من الناس ، واهتم بها أولو الفكر والوعي ، ومن ثم جهدوا أنفسهم منذ أزمان قديمة ، وحاولوا النظر والتأمل في هذا السر العجيب المعروف باللغة ، وعكفوا على دراستها والبحث في طبيعتها وحقيقتها .

يحكي لنا التاريخ أن كل أمة شغلت نفسها بلغتها بصورة أو بأخرى منذ أقدم عصورها وأيامها الأولى . ومن الطبيعي أن هذا الانشغال في بداية الأمر لم يجاوز النظر السريع البسيط الذي يتمثل في تساؤلات أو مناقشات عامة يقصد بها الى تصحيح عبارة أو استبدال كلمة بأخرى . كما بلغنا ذلك عن شعراء الجاهلية العرب . لقد كان الرجل من هؤلاء يأتي بقصيدته ثم يعاود النظر فيها مرة ومرة . حتى يجوّد لغتها وصياغتها . وقد يبرز له منافس فيشير الى ما في هذه القصيدة من مخالفات لغوية ، وقد تقوم بينهما مناقشات أو مناظرات من هذا القبيل وما أشبه من ذلك مثلا ما يرويه لنا التاريخ الأدبي أن الخنساء أنشدت قصيدة لها في عكاظ وكان النابغة الذبياني حاضراً ، فأعجبه شعرها ، وقال لها : « اذهبي فأنت أشعر من كل ذات ثديين . ولولا ان هذا الأعمى ( يقصد الأعشى ) أنشدني قبلك لفضلتك على شعراء هذا الموسم » . فسمعه حسان بن ثابت فغضب ، وقال : « أنا أشعر منها » . فالتفت الى الخنساء وقال : « أجيبيه يا خناس » . فأقبلت عليه وقالت : « ما أجود بيت في قصيدتك هذه التي عرضتها آنفاً » ؟

# اللغة بين الفرد والمجتمع

قال : « قولي فيها :

**لنا الجفنات الغر يلمعن في الضحى**

**وأسيافنا يقطرن من نجدة دما »**

قالت : « ضعّفت افتخارك وأنزرته في سبعة مواضع في بيتك هذا » . وقال « وكيف ذلك » ؟ قالت : « قلت « لنا الجفنات » والجفنات ما دون العشرة . ولو قلت « الجفان » لكان أكثر . وقلت « الغر » ، والغرة بياض في الجبهة ، ولو قلت « البيض » لكان أكثر اتساعاً . وقلت « يلمعن » واللمعان شيء يأتي بعد شيء ، ولو قلت « يشرقن » لكان أكثر لأن الاشراق أدوم من اللمعان . وقلت « بالضحى » ولو قلت « بالدجى » لكان أبلغ ، لأن الضيف أكثر طروقاً بالليل . وقلت « أسياف » والأسياف ما دون العشرة ، ولو قلت « سيوف » لكان أكثر ، وقلت « يقطرن » ، ولو قلت « يجرين » لكان أكثر انصباباً . وقلت « دماً » والدماء أكثر من الدم » . فسكت حسان ولم يحر جواباً .

وبمرور الزمن وتقدم وسائل المعرفة ونواحيها في الأمم المتحضرة ، انصرف الدارسون الى لغتهم ، وانكبوا عليها بالنظر العميق والدرس الدقيق . بلغنا ذلك عن الاغريق والهنود والرومان بخاصة ، أما العرب فقد كان لهم في هذا المضمار شأن أي شأن .

لقد أتى هؤلاء القوم في دراسة لغتهم بما لم تأت به أمة أخرى من قبل أو من بعد ، من حيث كثرة المحصول وغزارة المادة واتساع مناحي البحث وعمق النظر وشمول الدراسة . نظروا في أصوات العربية وصرفها ونحوها وأساليبها وموسيقى شعرها وقواعد نظم منثورها وأحوال مفرداتها وثروتها اللفظية بصورة تثير العجب وتستأهل التقدير .

ولقد كان هؤلاء العلماء يصدرون في ذلك عن عقيدة وعاطفة معاً . انهم يدركون أن العربية هي لغة القرآن ، دستور الاسلام وكتابه الحكيم . وهي — مع هذا وذاك — تواكب الاسلام وتدعو له ، وتفصح عن أسراره وعظمته . كما كانوا يعلمون أن المحافظة على هذه اللغة محافظة على هذا الدين الذي ارتضاه لهم ربهم ، وفيها وبها تتمثل وحدتهم وتقوى روابط الأخوة الاسلامية والعربية بينهم .

ولقد كان هذا الضرب من الاهتمام اهتماماً علمياً أكاديمياً ، يرمي الى وضع أصول اللغة وتسجيل قواعدها ، لتكون مصدراً وأساساً للسلوك اللغوي في المجتمع فيما بعد . وبجانبه كان النشاط اللغوي العام على المستوى الاجتماعي والثقافي والسياسي كذلك . لقد حرص الولاة والأمراء وعلية القوم وساستهم على التفوق في السلوك اللغوي ، وعلى الامتياز في تحصيل اللغة وطرائق ممارستها العملية كَتْباً ونطقاً . وكان الواحد منهم يخجل من اللحن ويفزع لوقوعه منه أو من عشيرته . ولم يكن من النادر أن يبعثوا بأولادهم الى البادية ، حيث الفصحاء والبلغاء وأساطين القول ، ليأخذوا عنهم ويمُرنوا على أساليبهم في البيان وامتياز التعبير .

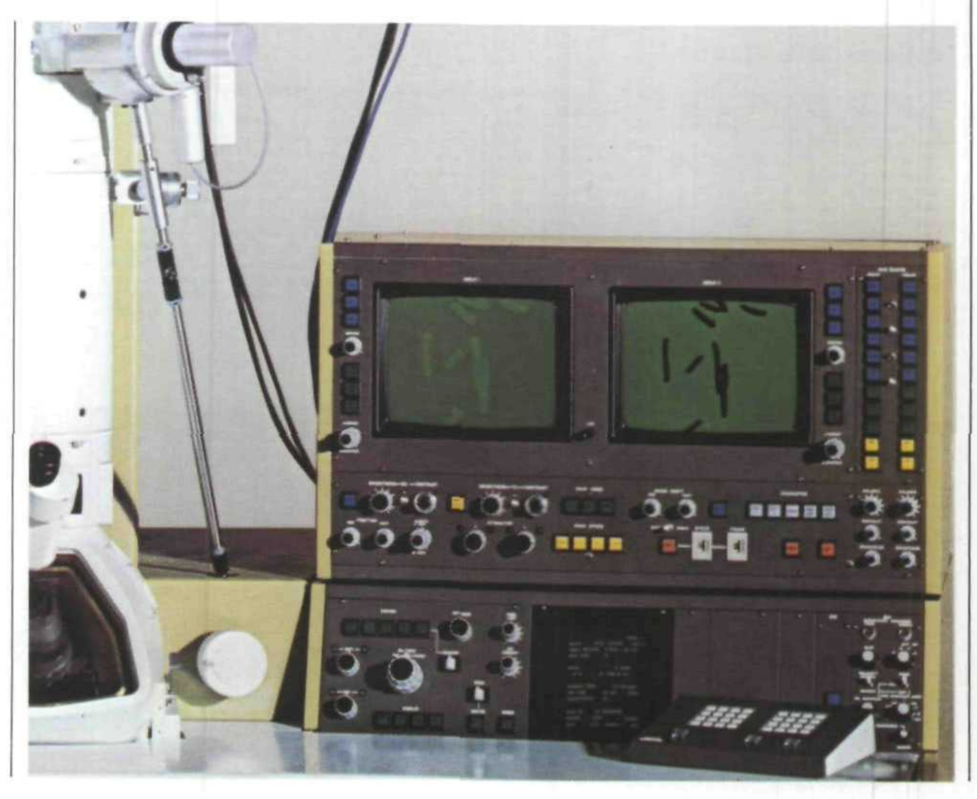
ولم يكن يعني ما فعل هؤلاء وأولئك انصرافهم عن الانخراط في العمل والاتيان بالمنجزات العملية من تعمير وتشييد وبناء حضارة . وانما كانوا يدركون أن اللغة مأثرة من مآثر الأمم ، ان لم تكن أهمها وأولاها بالتقدير ، لأنها هي كتابهم الذي يسجل تاريخهم وأحوالهم ، ويقدم للناس من بعدهم أمثالهم ليأخذوا بها قدوة واحتذاء . والعرب في هذا المجال بالذات اتخذوا لغتهم ديواناً لهم ، يمجد تقاليدهم ويحكي حضارتهم لغيرهم من الأمم ، هذا بالاضافة الى حسهم المرهف الواعي الذي يدرك فضل البيان وقدره □

# نصف قرن عمر هذا الكائن

د. عادل الشويخ / جامعة الملك سعود

## كيف نرى ؟

منذ أقدم العصور كان الانسان يتساءل عن كيفية رؤية العالم المحيط بنا ، وكان يتخبط بين سطحية التفكير وبين رواسب الخرافة ، اذ كان جل اهتمامه ينصب على ما يحصل خارج العين دون التفكير بما يتم في العين نفسها ، حتى جاء العالم المسلم ابن الهيثم ( ٩٦٢ ــ ١٠٣٨م ) ليشرح لأول مرة أن العين ما هي الا آلة بصرية تحتوي على عدسة ينكسر الضوء عندها ويتبع فيها مسارات هندسية ، وينقل المعلومات من الجسم ــ بطريقة ما ــ الى العصب البصري ، وبذلك كانت فكرة ابن الهيثم أول ثورة علمية في الضوء والطب معاً اذ أرسى أول قواعد علم البصريات ، وأصبح ــ فيما بعد ــ سهلا على الذين جاءوا بعده ان يتمموا مسيرة العلم في مجال البصريات .



ولقد كان أحد أعماله المهمة ، تفسير عمل العدسة الخارقة والمعروفة آنذاك ، حيث تتجمع الأشعة المتوازية الساقطة عليها لتقع في البؤرة ، مما يؤدي الى تركيز طاقة الاشعاع ، وكذلك استطاع تفسير عمل العدسة المكبرة حيث يقع الجسم بين البعد البؤري للعدسة ومركز العدسة مما يؤدي الى تكون صورة مكبرة معتدلة ويمكن رؤيتها لأنها خيالية . وكانت هذه العدسة هي أول مجهر ضوئي بسيط قد يسمى أحياناً بالعدسة المكبرة أو « عدسة القراءة » .

وفي عام ١٨٧٦ م نضجت في المانيا فكرة المجهر الضوئي المركب عبر سلسلة من التطور النظري لقواعد الضوء حيث يتركب هذا المجهر من عدستين ، الأولى شيئية تقوم بتكوين صورة مكبرة حقيقية للجسم تكون بمثابة جسم أمام العدسة الثانية المسماة بالعدسة العينية والتي تقوم هي بدورها بتكبير آخر ولكن الصورة هذه المرة خيالية يمكن رؤيتها بالعين مباشرة وقد تكبرت مرتين . وقانون الرؤية يعتمد كلية على انكسار الأشعة الضوئية في العدسات الزجاجية . وظل هذا المجهر يتطور بصفاء عدساته وقلة عيوبها ، وما الحق به من أجهزة تصوير واضاءة . ولكن الفكرة العلمية ظلت كما هي حتى وقتنا الحاضر .

## ارهاص ولادة المجهر الالكتروني

« لويس » طالب فرنسي كان يرغب في أن يدرس « الجغرافيه » ، ولكن القدر ساقه للابداع في مجال آخر . فتحيط به ظروف تقوده الى دراسة الفيزياء ليكمل الدكتوراة فيها ، وفي مجال أطروحته للدكتوراة عام ١٩٢٤ يقدم أجرأ نظرية حديثة في الفيزياء تنص على أن « هناك موجة مصاحبة لكل دقيقة مادية » . أي بأسلوب مبسط ان كل ما في الكون له وجهان كوجهي العملة أحدهما موجي والآخر مادي ، تظهر الصفة الموجية أحياناً وأخرى تظهر الصفة المادية .

احتار العلماء في تصديق النظرية ! ! . ترى ان كان الأمر صحيحاً فلنجرب اذن أصغر دقيقة مادية معروفة ألا وهي (الالكترون) ، ونبحث عن أسهل صفة موجية فيها يمكن كشفها ألا وهي ( الحيود ) ! . ولم يطل الأمر كثيراً حتى أثبت الأمريكيان « دافيسن وكيرمر » حصولهما على حيود الالكترونات ، اذن مرحى لك أيها الشاب « لويس دوبرولي » . ولم يكتف العلماء بحصوله على شهادة الدكتوراة بسبب معادلته الرائعة ، بل منح بعدها جائزة نوبل في الفيزياء .

وبعد هذا أصبح التفكير المنطقي يقود الى الآتي : اذا كانت موجات الضوء تنكسر في العدسات الزجاجية وتكون الصور ، فلماذا لا تتكسر الموجات الالكترونية وهي أصغر من موجات الضوء بخمسة آلاف مرة لتكون صوراً مكبرة جداً ؟ ان العقل يجيب عن امكانية ذلك على شرط أن نجيب عن ثلاثة أسئلة مهمة :

رسم توضيحي لاجزاء المجهر الالكتروني الداخلية..

* كيف نجهز مصدراً للالكترونات ؟ والجواب بتطوير أشعة الكاثود التي أصبحت معروفة في العشرينات وخصوصاً عام ١٩٢٧ على يد تومسون الانكليزي .

* ما هي العدسات التي يمكن أن تنحرف عندها أشعة الالكترونات ؟ والجواب ملفات مغناطيسية أو كهربائية ساكنة لأن الالكترونات ما هي جسيمات مشحونة .

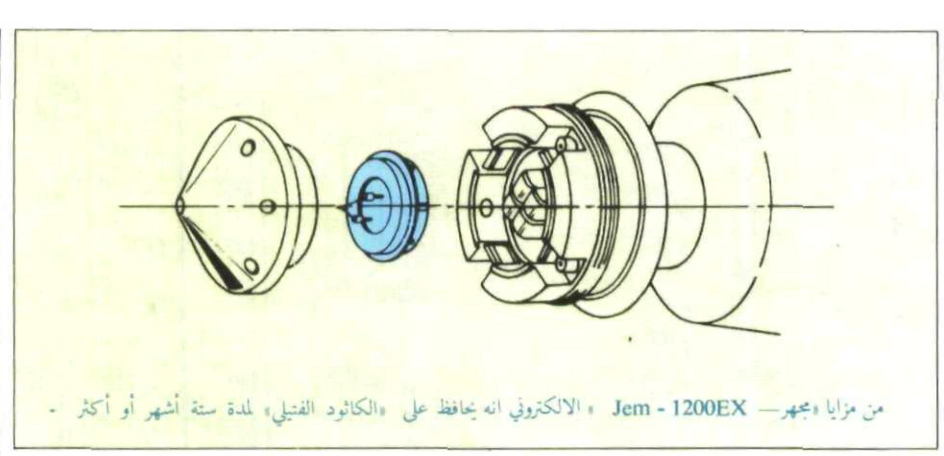
* كيف يمكن لهذه الأشعة ذات الطاقة الهائلة ان تسير دون احراق واتلاف . والجواب : بواسطة تفريغ هائل للجهاز ( أي الأنبوب المجهر الالكتروني ) . وقد توفرت آنذاك وفي المانيا بالذات بعض أجهزة التفريغ .

وهكذا يصبح الجواب النظري سهلا . ولكن أين الرجل الذي يجمع المعادلة : ( تطوير أشعة الكاثود تطوير العدسات الالكترونية اعداد التفريغ الهائل ) ليسهل عملية ولادة المجهر الالكتروني .

ولكن كيف هو شكل المخلوق الجديد ؟ هو عبارة عن أنبوب طويل مفرغ من الهواء . في بدايته مصدر يقذف بالالكترونات ذات الطاقة العالية . ويحتوي الأنبوب على ملفات مغناطيسية أو كهربائية تقوم بحرف الالكترونات كما تقوم العدسات الزجاجية بحرف أشعة الضوء في المجهر الضوئي . ثم ينتهي الأنبوب بشاشة متفلورة كشاشة التلفزيون تسقط عليها الالكترونيات فيمكن أخيراً مشاهدة الصور ضوئياً .

## الولادة :

في السابع من أبريل عام ١٩٣١ م . نجحت تجربة مهمة في احدى الجامعات الألمانية كان رائدها أحد أساتذة الجامعة ألا وهو الأستاذ « نول » ومعه تلميذه الألمعي « رزكا » . كانت هذه التجربة الرائدة هي الحصول لأول


من مزايا «مجهر— Jem - 1200EX » الالكتروني انه يحافظ على «الكاثود الفتيلي» لمدة ستة أشهر أو أكثر .

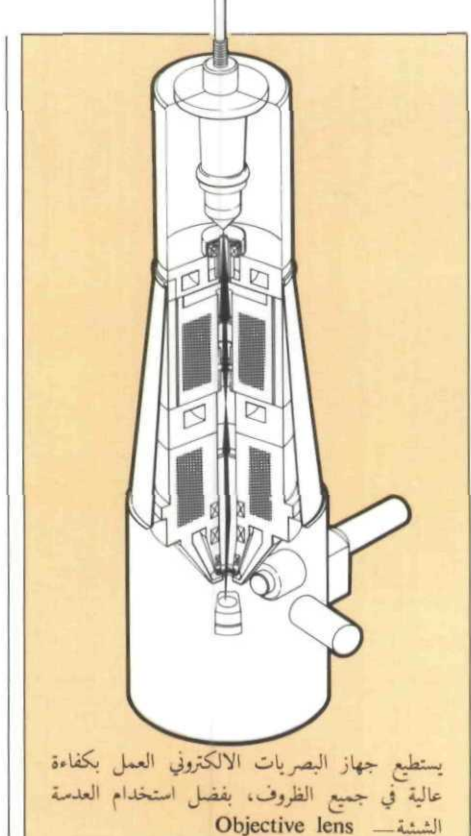


بفضل «مقياس الزوايا» يستطيع المجهر الالكتروني رؤية العينات من مختلف الزوايا.

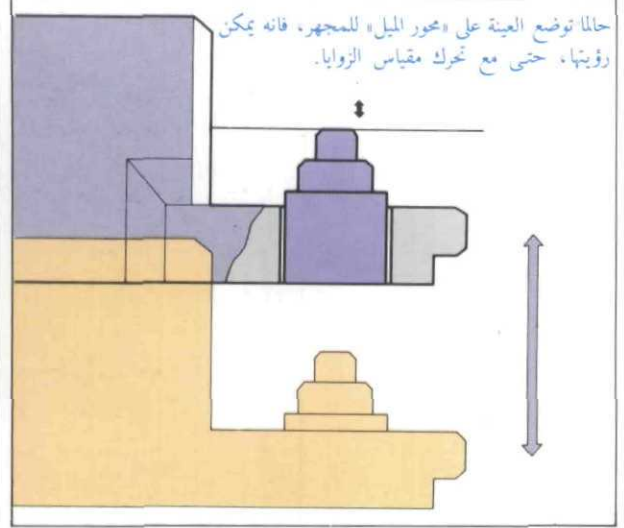
مرة على تكبير الكتروني ، هذا التكبير هو الذي فتح باب الثورة العلمية الهائلة في اكتشاف أسرار المعادن ، وأعماق الذرة ، وخصائص الأنسجة الحية . لم تكن روعة التجربة في تكبيرها البسيط الذي لم يتجاوز ٣,٦ في العدسة الأولى و ٤,٨ في العدسة الثانية والذي أدى – بالتالي – الى تكبيره الى قدرة ١٧,٤ ، بل ان الروعة – كل الروعة – لمجرد التكبير الالكتروني الذي صار حقيقة واقعة !

كان لا بد للرائدين أن يتقدما خطوة الى الأمام كي يثبتا ان التكبير الالكتروني ذو فائدة عملية ، فلا بد اذن من التكبير الأعلى ، ولا بد أن يكون هذا التكبير لعيّنة حقيقية . وشاء القدر أن يقتسم الرجلان مجدين مختلفين فيذهب « نول » الى شركة « تلفونكن » ليطور أجهزة التليفزيون ويبقى الطالب الذكي – وحده – يواجه مشكلة التطوير في ظروف الحرب القاهرة آنذاك ، ومشكلة اكمال دراسته العليا . واخيراً حصل – بطريقة ما – على تمويل مشروعه من اكمال دراسته العليا للحصول على الدكتوراة ، رغم ان تطوير مثل هذه التجربة هي أضخم بكثير من اطروحة دكتوراة وأكبر من مجهود شخصي ، وخصوصاً وانها تتحدى المجهر الضوئي أفضل الأجهزة العلمية في ذلك الوقت ، ولكن عزيمة « رزكا » كانت من القوة بحيث تجاوزت كل هذه الظروف .

كانت المشكلة الأولى هي العينة ( الجسم المراد تكبيره ) التي تتحمل هذه الطاقة الهائلة ، فالنظرة المجربة تثبت ان أي مادة يمكن أن تروق للمجهر سوف تتحول تحت هذه الطاقة الى رماد ! . ولقد ثبت ان هذا الرأي جد صحيح ، وان أي مادة ليست عالية في درجة انصهارها كالبلاتين ستتحطم في المجهر وتتصاغر في حجمها . ولكن هذه المشكلة لم تكن ذات أهمية قصوى في ذلك الوقت لأن المهم هو الحصول على فحص لأي جسم صغير ، ولقد كانت خيوط القطن التي سرعان ما تحترق بالاشعاع الالكتروني تبدو جيدة لهذا الغرض ولا بأس بدرجة استقرارها فيما لو تم طلاؤها بالكربون ، وهكذا كان أول فحص تم لجسم تحت هذا الجهاز الجديد باستخدام خيوط القطن المكربنة ، وكان اسم هذا الجهاز « المجهر الالكتروني » الذي تمت ولادته في عام ١٩٣٣ ، وفي هذه الولادة حقق المجهر قوة تحليل قدرها ٥٠٠ انكستروم بينما كان أفضل المجاهر الضوئية له قوة تحليل قدرها ٢٠٠٠ انكستروم . لقد تمكن الانسان لأول مرة من الرؤية الواضحة للمستويات الذرية في ذرات الكربون التي تتباعد عن بعضها ٣,٤ انكستروم . وعلى أية حال ، لم يشك أحد عام ١٩٣٣ بالتقدم الهائل في تكبير الأجسام ، وهكذا وبجدارة رائعة حصل « رزكا » على شهادة الدكتوراة وليجعل عام ١٩٣٣ عيد



يستطيع جهاز البصريات الالكتروني العمل بكفاءة عالية في جميع الظروف، بفضل استخدام العدسة الشيئية — Objective lens



حالما توضع العينة على «محور الميل» للمجهر، فانه يمكن رؤيتها، حتى مع تحرك مقياس الزوايا.



ميلاد المجهر الالكتروني ، وترك الجامعة ليلتحق بشركة « تلفونكن » من أجل وضع مادي أفضل . ولكن هل هذا الرجل من النوع الذي يترك كل شيء ساكناً في مكانه ؟ .

## أوائل الشكوك :

اقتضت سنّة الكون أن يحاط كل شيء جديد بهالة من الظن ، ويغلف بطبقة من الشكوك ، ولكن سرعان ما تنجلي الغمة ان كان الأمر الجديد حقيقياً في طبيعته ، جدياً في رسالته ، واقعياً في أهدافه . والمجهر الالكتروني ليس بدعاً في ذلك ، فما أن صنع « رزكا » مجهره الأول حتى توالت الشكوك على المجهر وكان من أهمها ثلاثة :

**الأول** : ان الاشعاع سيحطم بطاقته الكبيرة العينة المفحوصة مما يؤدي الى معلومات خاطئة عن تركيبها .

**والثاني** : المصاعب الفنية في مسك العينة وجعلها مستقرة في الحدود الذرية ، وحتى عند حل هذه المشكلة فانها تكلف أموالا طائلة تجعل شراء المجهر صعباً .

**والثالث** : ما أعلنه علماء الأحياء بقيادة الرواد الأوائل في برلين بالمانيا من انه لا يوجد تركيب بيولوجي أصغر مما تم فحصه في المجاهر الضوئية ، وحتى او وجد هذا التركيب فسوف يكون غير مستقر بل ومتحرك ، لذا فليس من صالح هؤلاء العلماء تطوير المجهر الالكتروني لأجل الاستفادة منه في الحقول البيولوجية والطبية .

ترى هل هذه الظنون في محلها أم حتى في هذا المجال تنطبق الآية الكريمة « ان بعض الظن اثم » .

حاول أحد الرياضيين أن يشكك بعمل الفيزيائيين ، فتصدى له فيزيائي مجري اسمه « مارتون » كان يعمل في بلجيكا ، فكتب مسرحية علمية خيالية مضحكة تشابه قصة الأطفال المشهورة « أليس في بلاد العجائب » .

لم يكتف « مارتون » بقصته لتبيان حاول المشاكل وعن امكانية صنع المجهر ، بل وصنعه بأقل التكاليف الممكنة .

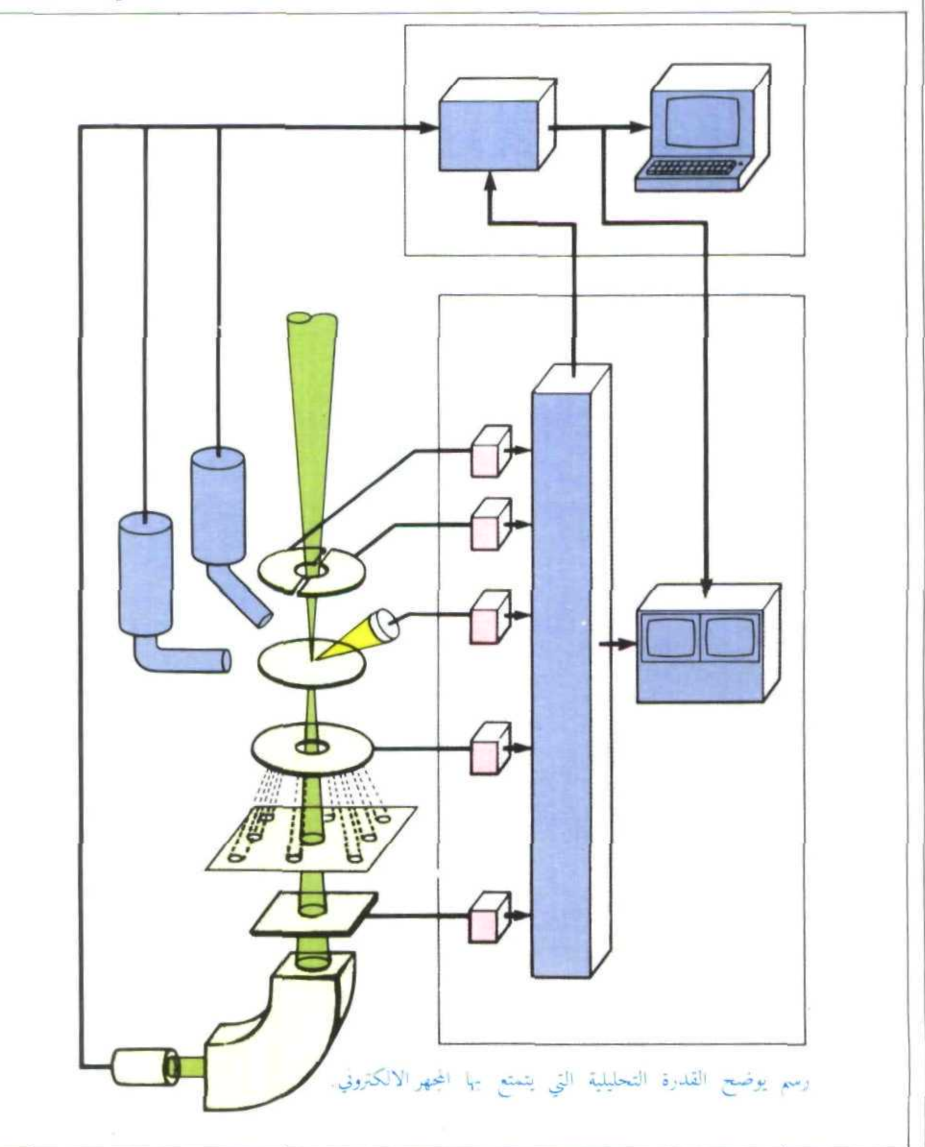
## وأخيرا تحققت الغاية !

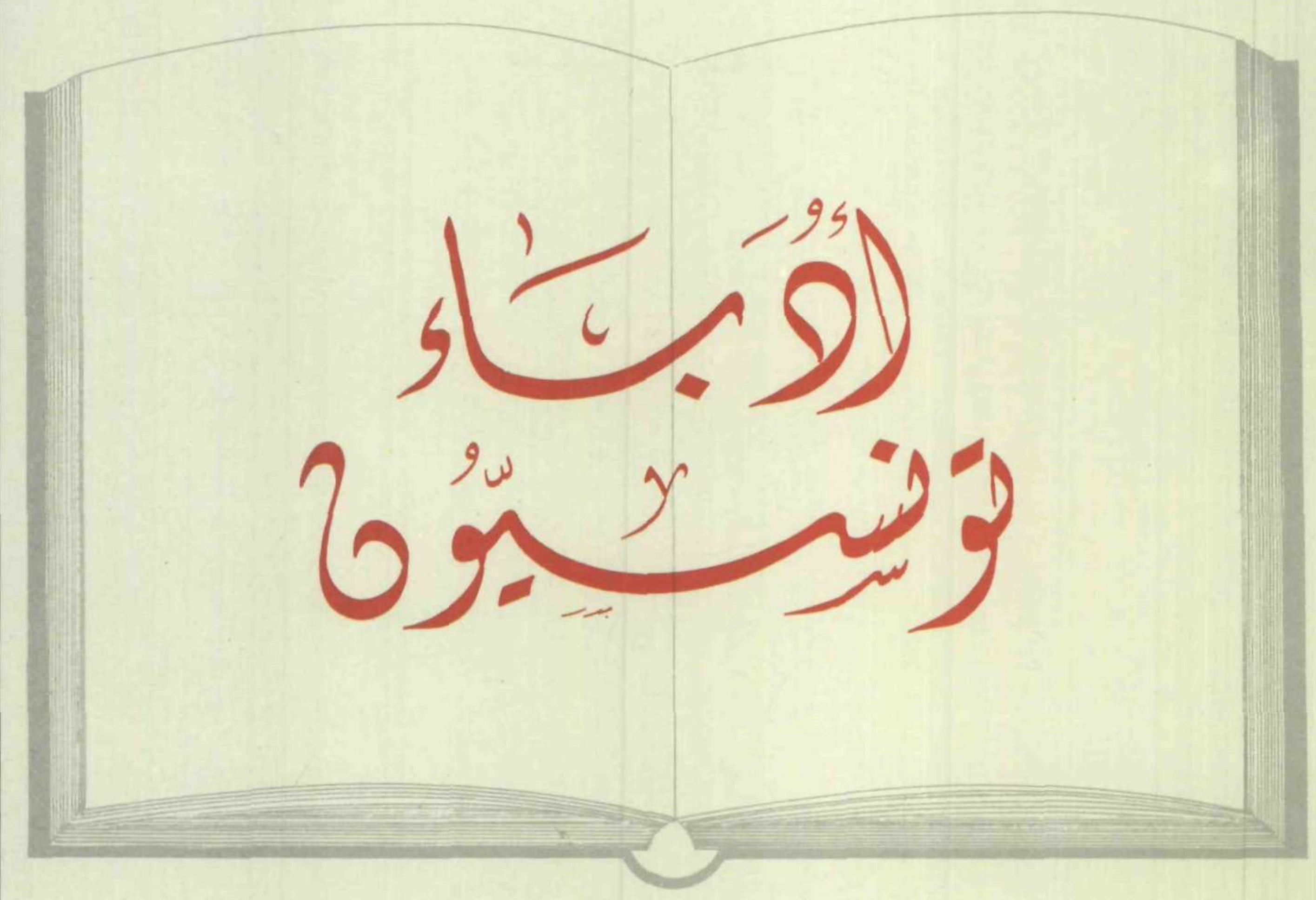
كان لا بد للمجهر كي يصبح جهازاً مرموقاً ان يثبت دوره الواقعي وصلاحيته لتكبير الأشياء الحية حيوانية كانت أو نباتية .

لقد أخذ « مارتون » مقطعاً سمكه عشرة مايكرونات من جذر أحد النباتات ووضعه تحت مجهره ، وحدث ما كان متوقعاً حيث تكربنت العينة ، ولكنه أبصر بشكل واضح تركيبها وهيكلها . وهكذا بدأ فحص العينات البيولوجية بواسطة المجهر حتى صار جهازاً مهماً في فحص الفيروسات والجراثيم ، ولكن كيف تم ذلك والحسابات الرياضية التي انتقدها تثبت انه لا بد من احتراق العينات ؟

ان الحسابات الرياضية هي جد صحيحة بحد ذاتها ، ولكنها ليست ملائمة لهذا الغرض اذ انها تتناول قضية أخرى ألا وهي فيما لو تكونت الصور بواسطة امتصاص طاقة الاشعاع ، ولكنها – في الواقع – في حالة المجهر الالكتروني ، فان الصور تتكون باستطارة الالكترونات دون امتصاصها . وفي فحص العينات البيولوجية تستعمل عينات جد رقيقة وفولتية عالية تؤدي الى استطارة قوية وامتصاص قليل حتى يمكن رؤية العينة ، اضافة الى ذلك تقليل زمن التعرض للاشعاع ولا ضرر فيما لو تحطمت العينة فيما بعد .

وهكذا تطور المجهر في تصوير الأحياء ، توّجها كل من « دريست » و« ملر » بتصوير جناح الذبابة المنزلية دون تلف له . وفي عام ١٩٣٨ م قام « هلمت رزكا » الشقيق الأصغر لصانع المجهر بتصوير الفيروسات لأول مرة ، حتى أدخل المجهر الالكتروني لأول مرة كجهاز مهم في المستشفيات ، وكانت قمة النجاح في اقرار استخدامه كجهاز طبي عام ١٩٥٠ ، ثم توالت الأحداث وتوسعت حتى صار في نهاية عام ١٩٨٣ ( أي بعد مرور خمسين عاماً على ولادته ) في قمة حيويته وشبابه ، لا تستغني عنه المستشفيات ودور العلم وجامعات البحث ، وهو آلتنا الوحيدة التي نبصر بها ما لا يمكن رؤيته بأي جهاز آخر □


رسم يوضح القدرة التحليلية التي يتمتع بها المجهر الالكتروني.




## تأليف : رشيد الذوادي
## عرض : حسيني سيّد لبيب / القاهرة

كم هو ممتع وشائق ، أن يتعرف المرء الى أعلام الأدب في بلد عربي ، من خلال بحث أو دراسة أدبية . ومثل هذه الموضوعات تغريني بقراءتها وتستأثر باهتماماتي . ذلك أنها تفتح نافذة للتعرف الى سير هؤلاء الأعلام ، وتسلط الأضواء على حياتهم وكتاباتهم .

وكتاب « أدباء تونسيون » ، هو أحد هذه الكتب التي تعرفت من خلالها على أدباء تونسيين . ومؤلفه هو الأديب الباحث الاستاذ رشيد الذوادي من مدينـــة بنزرت بتونس ويبدو أن بنزرت أصابت هوى في نفس ابنها البار ، فكتب عنهـــا بعض مؤلفاته ، مثلما أصابت تونس هواة فكتب عن أدبائها هذا المؤلف الجيد .

أكب الذوادي على شتى المصادر والمراجع يستقي منها ما يفيد ويثري بحثه . ولو ألقينا نظره على ثبت المراجع في آخر الكتاب ، لأدركنا مدى الجهد المبذول كي يظهر الكتاب بالصورة التي بين أيدينا .

يقول الأستاذ أبو القاسم محمد كرو في تقديمه للكتاب :

« والأخ الصديق رشيد الذوادي ممن أسهم بقلمه ونضاله في حياتنا القومية ، وحركتنا الأدبية والفكرية منذ سنوات بعيدة ، ولا يزال يثابر بجد وصدق نادرين على متابعة انتاجه واتحاف القراء بكل جديد » (١) .

للمؤلف طبيعة انتقادية تتبدى من خلال آرائه المبثوثة في معرض حديثه عن المترجم لهم . وهو لا يألو جهداً في عرض نماذج مما يراه معيباً في أشعارهم — والشعر فيما يبدو هو المجال الأرحب لابداع هؤلاء الأدباء — على عكس ما اعتدنا من مؤلفي السير والتراجم ، الذين ينبرون في تقديم أجمل ما كتب المترجم لكن النماذج التي عرضها رشيد الذوادي ، لا تفصح عن الجوانب المضيئة ، الا اذا قلنا أن هذه النماذج تعكس جل كتاباتهم ، وفي هذا يظهر التناقض بين ما هو وارد من نصوص ، وبين حديث رشيد الذوادي عن هؤلاء الأدباء واشادته بهم كرواد للادب التونسي واعلامه البارزين .

قدم لنا ثمانية من أدباء تونس وشعرائها ، مرتّبين بحسب تواريخ وفاتهم ، وهم :

مصطفى آغه ( ١٨٧٧ — ١٩٤٦ ) — سعيد أبو بكر ( ١٨٩٩ — ١٩٤٨ ) — محمد بو شربية ( ١٩٠٣ — ١٩٥٢ ) — محمد الشاذلي خزنة دار ( ١٨٨١ — ١٩٥٤ ) — البشير الفورتي ( ١٨٨٢ — ١٩٥٤ ) — محمد العربي

الكبادي ( ١٨٨١ – ١٩٦١ ) – زين العابدين السنوسي ( ١٩٠١ – ١٩٦٥ ) – حسن حسني عبد الوهاب ( ١٨٨٤ – ١٩٦٨ ) .

وفيما يلي نبذة عن حياة وابداع هؤلاء الأدباء . . .

## مصطفى آغة :

نشأ هذا الشاعر نشأة راقية ، حيث كان جده مصطفى وزيراً للحرب ، تلقى علومه في بيته . وقضى شبابه وكهولته منعزلا عن المجتمع . وكان اختلاطه منحصراً في بعض الأعيان المترددين على قصر « الكرم » . اشترك في تأسيس « النادي التونسي » ، وتفرع منه « الحزب الاصلاحي » .

وكان شعره بعيداً عن الحركة الوطنية ، منصباً على الوصف الاجتماعي والنواحي الفلسفية. من آثاره الأدبية : ديوان شعر مطبوع ، ومجموعة أحاديث مذاعه ( أنا والمعري ) ، ومجموعة مقالات مخطوطه . حدد المؤلف عوامل تكوين شخصيته الشعرية في : الطموح والخيال الفسيح والذاكرة الفريدة وعنايته بفن البديع . ثم استعرض اهتمامه بفكر وأدب أبي العلاء المعري .

## سعيد أبو بكر :

لم يكمل دراسته الثانوية ، لكنه استكمل ثقافته الأدبية . ونشر كتاباته في المجلات التونسية ، وأشرف على تحرير مجلة ( العالم ) لمدة ثلاث سنوات . ومن مؤلفاته المطبوعة : الجزء الأول من ديوان ( السعيديات ) ، وديوان ( الزهرات ) ، وكتاب ( دليل الأندلس ) وله مؤلفان غير مطبوعين . وفي شعره ، ناهض الاستعمار واستحث الهمم للنهوض بالوطن. وكما يقول عنه مؤلف الكتاب : « انه ابن جيله وشاعر تونس المجدد ، فقد وعى عن عمق مشاكل أمته وعياً كاملا وتفاعل معها في ثورتها » .

## محمد بوشربية :

تلقى تعليمه بجامع الزيتونة ، وتدرج في سلك الوظيفة حتى أصبح مدرساً بالزيتونة ، اختطفته يد المنون اثر حادث سيارة عام ١٩٥٢ . نهل من الثقافتين العربية والفرنسية . نظم الشعر منددا بالاستعمار ، مناديا بالاصلاح مقاوماً للاستبداد .

صبغ التبرم والتشاؤم أشعار بوشربية لأسباب عديدة منها : عقمه ، وموت أخيه ، وموت أمه . ولم تفت تلك الأحداث في عضد بو شربية ، فالى جانب تشاؤمه ، هناك روح الهمة والانتصار والارادة . وله مؤلف واحد مطبوع باسم مختارات من الأدب الفرنسي ) ، وهو ترجمة لنماذج من أدب النهضة الفرنسية . وله مؤلفات أخرى لم تطبع . على أن أشعاره مبثوثة في المجلات .

## محمد الشاذلي خزنة دار :

من أكثر الشعراء التونسيين التحاماً بقضايا شعبه ، ومكافحة الاستعمار ، وله في هذا شعر وفير ، استشهد المؤلف بنماذج منه . فالشعر السياسي يحتل المكانة الأولى من نتاج خزنة دار . شارك في العمل الحزبي ، ثم ابتعد عنه . تجاوز انتاجه الشعري الخمسين الف بيت من الشعر العربي ، نشر في المجلات والصحف ، وجمع قليل منه في ديوان ، هو الأثر الأدبي الوحيد المنشور باسمه . ويأخذ المؤلف على الشاعر ما نظمه من قصائد مهلهلة ، وما في بعض قصائده من حشو في الألفاظ وأخطاء عروضية ولغوية . وبعض قصيده يعد نظماً عادياً يخاو من المقومات الفنية . ثم وقف بنا المؤلف عند امارة الشعر ، وتلقيب خزنة دار بأمير الشعر في تونس ، على غرار لقب أحمد شوقي . وكان الأحق بهذا اللقب الشاعر التونسي أبو القاسم الشابي ، ( ١٩٠٩– ١٩٣٤ ) . يقول في هذا : « وأعتقد أن الأحق بهذا اللقب هو الشابي . فهو رائد تونس الأول في هذا الشأن ، فبالاضافة الى مواقفه الوطنية والاجتماعية الى جانب الشعر فهو شاعر فنان دعا الى تغيير المقاييس ، وقاد في شبابه حركة اصلاح التعليم بالزيتونة حتى يقع تطوير الثقافة التونسية وتلقيحها بكل جديد مفيد » (٢)

وقد عقد مقارنة بين أمير الشعراء أحمد شوقي والشاعر خزنة دار الملقب بأمير الشعر في تونس . وفي هذه المقارنة ، أوجه شبه قد تكون في المبرر لمنح خزنة دار امارة الشعر أسوة بأحمد شوقي :

**أولا :** نشأتهما في عصر واحد .

**ثانياً :** اتصالهما الوثيق بالملوك .

**ثالثاً :** ابتلاؤهما بالسجن .

**رابعاً :** انتاجهما الشعري الذي يتميز بطول النفس ووحدة الموضوع وقوة السبك وتنوع الأغراض التي قالا فيها الشعر .

وينهي المؤلف مقارنته بأن احمد شوقي استحق امارة الشعر عن جدارة أهلته لها ثقافته الواسعة ، بينما لا يستحقها التونسي خزنة دار لثقافته المحدوده ، وللملاحظات التي ذكرها المؤلف على شعره :

## البشير الفورتي :

علم من أعلام الصحافة والأدب . ناضل من أجل السمو بالحرف وتطوير الفكر . عاش في الفترة التي ضعفت فيها دولة البايات وازداد نفوذ الاستعمار الفرنسي . لهذا يتميز عصره بالكفاح والمقاومة والصمود ، وظهور الحركات الاصلاحية المناهضة للاستعمار .

تخرج في الزيتونة ، ثم تلقى تعليماً آخر في جمعية الخلدونية ، حيث درس المعرفة والعلوم العصرية ، وتشبعت نفسه برغبة في مخاطبة الجماهير بقصد توعيتها وارشادها ، فاتجه الى الصحافة فأصدر أول جريدة تونسية مطبوعة بأحرف الرصاص ، هي جريدة « التقدم » عام ١٩٠٦ ، بعد أن جلب من سوريا ومصر آلات الطباعة والأحرف العربية ، وكانت الطباعة في تونس قاصرة على الطريقة القديمة ، الطباعة على الحجر . واعتنت الجريدة بشئون العلم والأدب والفكر ، واستمرت في الصدور ست سنوات . كما أصدر عام ١٩١٢ جريدة ( الهلال العثماني ) باستنبول بالاشتراك مع عبد العزيز جاويش ، كما أصدر جريدة ( صوت الفلاح ) عام ١٩١٤ . كما نشر مقالات في صحف تونسية أخرى . والأغراض التي تناولها في مقالاته عديدة منها كما يقول المؤلف : « نداء لحماية طرابلس ، ودعوة الى العناية بصحة التونسيين ، وبأحباسهم ، وبتعزيز مركز الخلافة الاسلامية ، وحرية الكاتب ، وتمجيد عظماء التاريخ وتوضيح واجبات المواطن وحقوقه ، والتنويه بمن فقدتهم تونس من أبطال وقادة . (٣)

ويعتبر المؤلف ( الطابع الفكري ) أهم ما تتميز به كتابات البشير الفورتي ، بغية اصلاح المجتمع ورقي الأمة ، ومن أبرز مؤلفاته : « فضائح وفظائع » و « العالم الاسلامي » من ثلاثة أجزاء ، ومذاكراته ، وتراجم للاعلام .

## محمد العربي الكبادي :

يقول عنه المؤلف : « لقد واجه مساعي الاستعمار الفرنسي حينما أراد القضاء على اللغة العربية وعلى ما تمثله حضارة الاسلام من روح أصيلة جاده ، فاختار طريق الصدق والحقيقة ، ولم يتملق قومه أو نافق أوضاعهم الفاسدة ، بل هاجم بكل ما يملك من شجاعة وبشرف المفكر ونزاهة العالم ، هاجم مرتزقة الفكر ودعاة التغريب ، وأنصاف المثقفين ، أولئك الذين لا قدرة لهم على حمل الرسالة ومسك المشعل . (٤)

اسهم الكبادي في حركات الاصلاح ، حيث دعا الى نبذ التعصب الفكري ، والتصدي لحملات التشكيك في البطولات العربية ، والاعتزاز باللغة العربية وتراث العرب .

ينحصر نشاطه الأدبي في قرض الشعر والنقد الأدبي ، أهله لذلك ما يتمتع به من ثقافة عربية محضة ، واستيعاب أمهات الكتب العربية القديمة . وقد حضر المؤلف ثقافة الكبادي في ملكته النقدية الشاملة ، وحفظه لمتون الشعر وأسانيد الرواية ومعرفته بنوادر الأخبار . أنشد يقول عن الشعر :

**ولع الناس حديثاً وقديما**
**بنفيس القول نثراً ونظيما**
**لكن الشعر له منزلة**
**في قلوب القوم قد تعلو النجوما**
**كم أمور وقف الفكر على**
**طرقها لا يعرف النهج القويما**
**كشف الشعر له أسرارها**
**فمضى يسلك منها المستقيما**

يصف المؤلف الكبادي بأنه « انموذج يحمل سمات ما قبل عصور التدوين والكتابة وتعتبر تجاربه في الرواية والانتاج منهجاً جديداً خاصاً به ، اذ انه ساهم في تخليص العقل العربي من بعض الأوهام والأساطير وتزييف الحقائق التي سعى في اختلاقها الخيال ومتاهات النقل الشفهي عبر مختلف عصور الأدب العربي » . (٥)

وتتحدد مكانة الكبادي الأدبية في محاضراته الأدبية ، وفي أشعاره . وفي دراساته الأدبية . وحدد المؤلف موقع الكبادي كشاعر بين الكلاسيكية القديمة والرومانتيكية الحديثة .

## زين العابدين السنوسي :

سلط المؤلف الأضواء على جهاد السنوسي في مجال الصحافة ، حاول اصدار مجلة « العرب » فلم تأذن له الحكومة . لكنه أخذ امتياز مجلة « البدر » وأصدرها تحت اسم « العرب » عام ١٩٢٣ . وسرعان ما سحب منه ، فأصدر منشورات أخرى مثل لطائف العرب وحديقة العرب ومقالات العرب . ثم أصدر « التقويم الاجتماعي » . ثم أصبح رئيساً لتحرير جريدة « النهضة الأدبية » عام ١٩٢٧ . ثم حصل على امتياز اصدار جريدتي « الزمان » و« الصادرات والواردات » . ثم رخص له باصدار مجلة « العالم الأدبي » . ثم أصدر جريدة « تونس » التي كتب افتتاحياتها تحت عنوان « تونس قبل كل شيء » ، لكنها أوقفت عام ١٩٣٩ ، لتعود الى الصدور عام ١٩٤٨ ، ثم توقفت مرة أخرى عام ١٩٥٢ .

مؤلفات زين العابدين السنوسي وفيرة ومتنوعة تحمل العناوين الآتية : عبد الرحمن ابن خلدون — محمود قابادو — محمد بيرم الخامس — الوطنية في شعر ابن حمديس — فتح أفريقيا « رواية تاريخية » — الدستور التونسي أو استرجاع السيادة الوطنية — أبو القاسم الشابي وحياته وأدبه — بنت قصر الجم « قصة طويلة » — الشاذلي خزنة دار أمير شعراء تونس « مخطوط » — شعراء القيروان « جمع وتعليق » — الأدب التونسي في القرن الرابع عشر « في مجلدين » .

ثم يستعرض المؤلف جهاد السنوسي السياسي والوطني والفكري ، ويقول عنه : « حياته كلها صفحات من المجد والكفاح من أجل المبادىء التي آمن بها منذ صغره وهي محبة هذا الوطن ، والذود عنه ، وتكريس الجهد لخدمته الى آخر رمق » . (٦)

## حسن حسني عبد الوهاب :

حدد المؤلف سمات هذا الأديب المفكر في أصالة الانتاج وتفتحه على الثقافة الغربية وتعمقه في الانسانية ، فأصبح بذلك مرجعاً للثقافتين الشرقية والغربية . تدرج في مراحل التعليم فحصل على الابتدائية ، هيأته لدخول المدرسة الصادقية ، وفي باريس التحق بمدرسة العلوم السياسية . وبعد وفاة والده ، اضطر للعودة الى تونس متدرجاً في سلك الوظيفة الادارية . وفي عام ١٩٢٠ عين رئيساً لخزينة المحفوظات التونسية . ثم عين عام ١٩٤٣ وزيراً للقلم ثم استقال ليتفرغ لشئون التأليف وتحقيق التراث . وبعدها عين مديراً للمعهد القومي للآثار والفنون . وكان قد درس التاريخ في المدرسه الخلدونية والمدرسة العليا للغة والآداب العربية .

تتميز ثقافته بالشمول ، فشخصيته متعددة الجوانب . . « فثقافته كانت ثقافة شاملة بل وحتى أعماله ونشاطاته هي الأخرى كانت أيضاً شاملة » . (٧) وتحدث المؤلف عن شخصية حسن حسني عبد الوهاب الأدبية والتاريخية . . فاهتماماته الفكرية توزعت بين الأدب والتاريخ وكتب التراث علاوة على اهتماماته في مجالات أخرى .

آثار حسن حسني عبد الوهاب كثيرة ومتنوعة ، تتمثل في :

- أبحاث تاريخية وأدبية نشرت في الصحف والمجلات .
- فصول ومقالات بالفرنسية نشرت في دائرة المعارف الاسلامية أو في المجلات العلمية والأدبية .
- مداخل تاريخية ومقدمات لبعض المؤلفات التاريخية .
- مؤلفات وتحقيقات باللغة العربية
- كتب وأبحاث باللغة الفرنسية .
- مؤلفات مخطوطة .

وأشار المؤلف الى تعيينه عضواً بمجمع اللغة العربية ، ومشاركته في المؤتمرات واتصاله بمشاهير الأدباء والمفكرين بالوطن العربي .

يتبين من خلال فصول هذا الكتاب الممتع ، أن مؤلفه رشيد الذوادي قد ركز الأضواء على الشعر أكثر من غيرهم ، أم لعلها طبيعة الأديب العربي الميالة الى قرض الشعر . كما اهتم ببيان الشعر السياسي ومناهضة الاحتلال ، وهذا راجع الى طبيعة الفترة التي مرت بها تونس تحت وطأة الاحتلال الفرنسي . كما أن اهتماماته الصحفية تستميله ، فيشرح باسهاب جهاد الأدباء في اصدار الصحف والمجلات .

بقيت ملاحظة يسيرة على الكتاب ، تتعلق بالاخطاء المطبعية المتناثرة وكان الأحرى مراجعة مسودة الكتاب قبل طبعه . على أن ملاحظتي لا تقلل من قيمته العلمية ، والجهد الملحوظ الذي بذله الأديب الباحث رشيد الذوادي □

قصـة قصـيرة

# عصا الربيع السحرية

بقلم: نادر السباعي/حلب

لا تدعوا الأمل يحترق فوق الأرض .. فبامكانه أن يصرف الرعد ، ويحسر الغيوم الدكن عن طلعة الشمس .

كان ممدداً عندما تناهى الى سمعه أصوات ! الأشعة المتسللة من خصاص النافذة المغلقة ، تفجر نثارات ضوء شاحب في قلب العتمة .. انه يكره الوحدة والظلام وكل ما يحيط به . ذلك النور الدافىء الشحيح يبرز جانباً من وجهه المتجعد . ( كم تغيرت ؟ ) صاح محتجاً وكأنه فهم ما كنت أفكر به : ( هذا لست أنا ! ) .

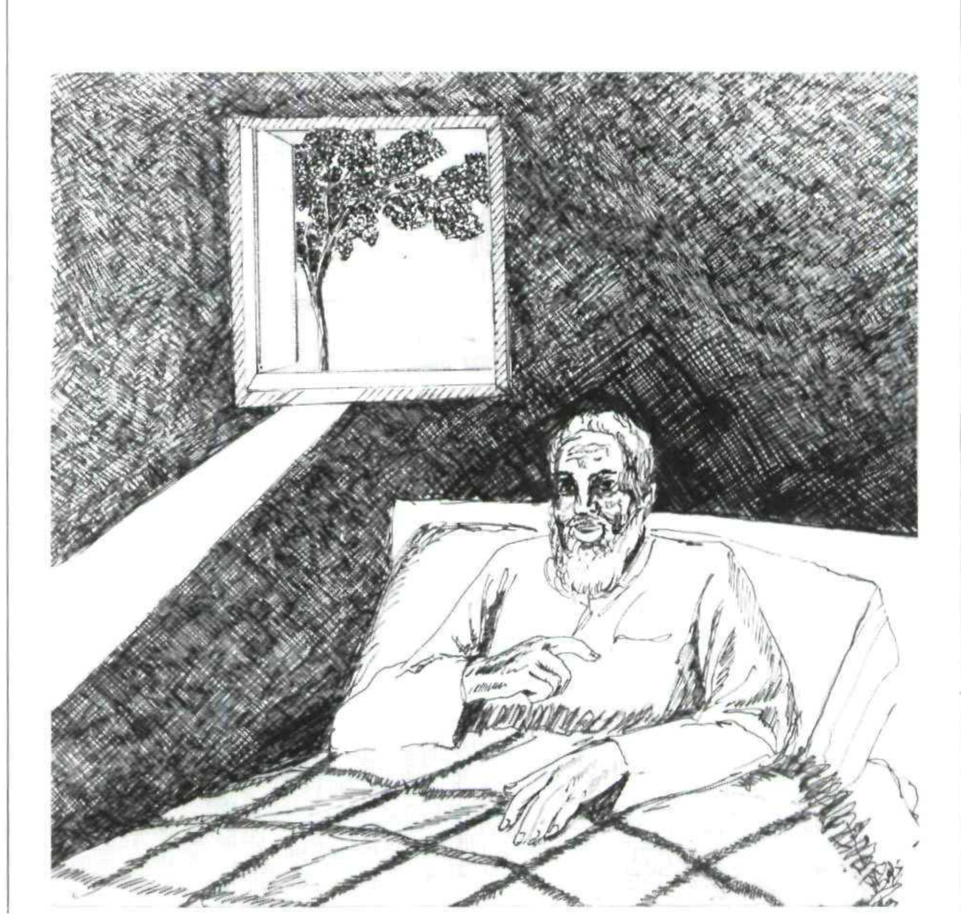
ثم لاذ بالصمت . ارتعشت شفته السفلى ارتعاشة مضض . انه ينظر في زوايا الغرفة ، وأغمض عينيه ثم فتحهما باسترخاء . بدأت صورة مزيج بين الجمال والقبح ، بين الخيال والواقع ، تتحرك في مخيلته ، بعد جمود وتبلد اخترقت ستر الضوء والظلام على امتداد رؤيته المتعبة . تلك الالتماعة التي تمت في مخه ، نحو صور مشوشة تتحول بصعوبة الى ادراك وحقيقة بينة ، ثم قال يائساً : ( اجلس . لقد شعرت بالملل ! ) .

الأصوات لا زالت تتردد .. عقب بارتياب : من أنت ؟ ما الذي جاء بك ؟ قلت : هذا السؤال قد طرحته ألف مرة ، يبدو أنك نسيت !

خيل اليه بأنها تناديه ، وانه يستطيع أن يغادر مكانه . صاح بنزق : اريد التحرك . قلت له بسخرية : انك انتهيت! وجم بوجهه الجعد . ثم أعلن بهدوء : أريد أن أعرف ما يدور خلف هذه الجدران !

فخفتت الأصوات الداخلية .. صار صوته الأجش يتردد متوسلا : يجب أن أنطلق .. أريد أن أنطلق ! قلت متشفياً : لا تستطيع !

فكر .. راح يتحسس مئات الأشياء الصغيرة الملقاة أمامه . عافت نفسه الدفء ،



ومل الحرارة والزوجة ، والتعفن . لا شيء أمامه وحوله سوى الصمت المطبق ، كصمت القبر . كره آلاف المرات وأحب آلاف المرات . يحلم ، ويأمل وهو ثابت في نقطه الانتظار . ربما نقطة النهاية ، ولا شيء سوى الانتظار البليد . كرر بعزم دون وهن قائلا : سأحاول أن أعرف !

خيل اليه أنه يستعيد عزمه . قام ! ونظر حوله وتلفت . ثم أدار رأسه باتجاه الضوء . ربما قد تمنى أن يزحف نحو الشمس ويفلح الآفاق كعهده . قلت له وأنا أحاول أن أثني عزمه : لا يمكنك بلوغ مأربك ! قال : سوف أسعى جاهداً دون استسلام لأعرف الأمر ! قلت : أي أمر ؟ قال : ما يدور حولي . قلت : الا تحس بالانهيار ؟

صاح بفزع : الانهيار ! قلت : بلى ! انك انتهيت ... قال بعزم : أبداً ! .. ان في أعماق الانسان السر العظيم في حب الحياة ... ثم عقّب ، حقيقة قد أحس أحياناً اني كصندوق عتيق خرب بحاجة الى حرق . ولكن دافعاً غريباً وقوياً ، يدفعني كومضة نجم ثم يختفي ، يجدد عزيمتي ، يبث فيّ ذلك الشيء الذي يسمونه الأمل . ربما تسميه أنت حب الحياة ، ثم أتبع بثقة .. الانسان لا ينتهي ...

انثنى بنظره الى الحائط ، رأى صورتين لشخص واحد ، وكأنه يراهما لأول مرة . الأولى في سن الشباب ، والثانية وجد فيها نفسه وقد أدركته الشيخوخة ، وتزاحمت التجاعيد في وجهه واشتعل فيها الرأس شيباً .

غريب هذا التحول !

ماذا يسمع خلال أيام الأخيرة : أين أمضيت هذا العمر ؟ بدأت الأصوات الخافتة الحانية تلامس سمعه . راعه ما يتم حوله ، وهو سادر كالمومياء ، لم يستطع تمييزها أو اكتشافها .

ينصت بشغف . ان مسامعه تتلقط أصواتاً شتى . يصيخ باذنيه الى ما يدور حوله ، الا سحقاً لضعف سمعه الذي جعله يعجز عن التقاط الهمسات وفيها وحدها الأسرار ! .. حفيف ، ودبيب الكائنات الصغيرة الدقيقة المتناثرة تتمطى تبحث عما تقتات به . وهو قعيد مكانه العفن . تاقت نفسه الى تخطي تلك الحواجز لينصهر فيها !

تلك الوساوس والأوهام لم تنقطع الا على صوت قدمين صغيرتين . فتح الباب فجأة وظهر خلفه وجه صغير رآه ! أطل بوجهه المتألق بالحيوية . انتظار لهيف يدفعه لمباغتته بسؤال حيران :

– ماذا يجري ؟

ابتسم الطفل وهو يقر بالحقيقة قائلا :

– لا شيء سوى أمي وهي في المطبخ تعد طعام الغداء ، وأنا واخواتي نلعب بالحديقه ..

– وأبوك ؟

– خرج لبعض شأنه !

كتم غيظه . شعر انها اجابة ليست شافية . واعتقد ان اموراً كثيرة ابتدأت تحجب عنه . قارن نفسه مع قطعة أثاث قديمة مهملة في هذا البيت !

انصرف الطفل ..

أعاد الى ذاكرته وجهه المشرق ، فرأى اسنانه كحجارة جدار بيضاء لم يتم بناؤه بعد ! لم يغفل عن قناعته بأنه ورث عن أمه فن الخبث .. ظل في حيرته وشعوره بالحيف والغبن ، حتى سمع صوتاً قادماً ( انه لا يحبها ) لقد قاسى منها الكثير ، وحدق بها وهي تشق طريقها ، ببطء حاملة صينية مستديرة فيها بعض ما يعين على متابعة الحياة ..

لمح حركاتها ، راقب في عينيها التماعة مستريبة . سألها بتوجس :

– ماذا يجري بالدار ؟

نظرت اليه متفحصة . أحس بامتعاضها وتأففها منه . تيقن بأن هيبته غدت في نهاية الطريق .. أجابت بعد برهة :

– لا شيء جديد ! هل ينقصك شيء ؟

أدرك أخيراً أنه أشبه بجيفة عليهم أن يتخلصوا منها بأسرع وقت وبأسهل الطرق . ( قرر ! ) لا بد أن يتلف ذلك الشيء المتعفن ويتحلل ماضياً الى مصيره ! .

اذن شعوره حقيقة وليس مجرد وهم ! انه يتحرك ، يتنفس ، ويشعر كبقية البشر .. أصابعه الجافة تتحرك مرتجفة تعبر عن استياء . في الوقت نفسه الحركة الخافته تعبر به ولكن انعكاسة الجسد ، نصفه السفلي ، ثابت لا يرتجف . ظل الدم يعبر في أجزائه المحطمة وشعوره بالوحشة لا يفارقه .

دخل عليه ابنه واغتصب منه وحدته. لمح في وجهه المقت ، التضجر . بادره بالسؤال بعد أن قبل يديه :

– ما بك يا أبي ؟

– لست أفهم ماذا يجري في هذا البيت !

– ماذا تقصد يا أبي ؟

– ماذا تدبرون ؟ أرى على الوجوه سراً واحداً مشتركاً !

– لا شيء جديد يا أبي . لم يتبدل أو يتغير شيء !

أعلن باصرار وعناد :

– أبدا ! ... أشعر أن هناك أمراً ينأى به كل فرد عني !

بتلطف :

– أبي .. هل أزعجك أحد خلال غيبتي ؟

في تلك البرهة هبت موجة عاتية من الريح ، فتحت النافذة على مصراعيها تدفق نسيم الربيع الهازج ، فعب الشيخ نفساً عميقاً . ثم قال بارتياح وهدوء :

– لا عليك يا بني .. الآن فهمت السر الذي يؤرقني □

# الانسان بين حتمية ابن خلدون وامكانية لابلاش وفيفر

د. محمد علي الفرا / الكويت

**الحتمية** مسألة على جانب كبير من الأهمية ، شغلت أذهان المفكرين منذ العصور وحتى زماننا هذا ، شارك في طرحها ومناقشتها علماء من مختلف الأجناس والأقطار ، وعلى مر الأزمنة والعصور . واستخدمت في تبريرها وتفنيدها حجج وبراهين ، وتباينت فيها الآراء ، وظهرت على أثرها المدارس والاتجاهات ، فهناك من بالغ في التعصب لها والعمل على نشرها وبثها بين الناس ، وهناك من أصر على نقضها واثبات بطلانها .

ولعل من المفيد أن نبين في بادئ الأمر مفهوم الحتمية ، حتى يكون الجميع على بينة من الأمر فيتخذ من يشاء له موقفا يرتاح إليه ، ووجهة نظر يعتقد بصحتها .

## مفهوم الحتمية :

الحتمية كلمة تقابلها في الانجليزية — Determinism ، وهي مشتقة من الحتم بمعنى القضاء كقوله سبحانه وتعالى : « **كان على ربك حتما مقضيا** » ، ويحتم الشيء يقتضيه .

وإذا ابتعدنا عن المعنى اللغوي للحتمية ودخلنا في مفهومها الفلسفي فانها في هذه الحالة تعني تحكم البيئة في الانسان وسيطرتها عليه . والحتمية كفلسفة تدل على تسلط البيئة الطبيعية على الانسان على اعتبار أنه أحد الكائنات فيها ، فهي تؤثر في خلقته وشكله ونمط حياته وسلوكه وأفعاله وكافة الأنشطة والفعاليات التي يمارسها ، أو يمتهنها ، على سطح الأرض .

أما البيئة الطبيعية فهي كل ما يكتنف الانسان ويحيط به من ظاهرات طبيعية بدءا بموقع المكان أو البيئة فلكيا أي من حيث موقعه بالنسبة إلى خطوط الطول ودوائر العرض ، وما لهذا من علاقة بالقرب أو البعد عن خط الاستواء ، وما يترتب على ذلك من خصائص مناخية معينة . ويقوم الموقع جغرافيا من حيث قربه أو بعده عن البحار والمسطحات المائية ومدى ارتباطه واتصاله بغيره من المواقع والأماكن وما ينتج عن ذلك من مزايا وخصائص تكسب السكان مهارات وقدرات يمكن استغلالها اقتصاديا.

وتعتبر مظاهر السطح ، أي شكل الأرض من ارتفاع وانخفاض عوامل هامة من عوامل البيئة الطبيعية التي تتأثر بها أنماط الحياة . وليس

هناك من ينكر دور المناخ كعامل بيئي في نشاط الانسان وسلوكه وطباعه . والحياة النباتية ممثلة بمختلف أنواعها وأشكالها ، من أعشاب غنية أو فقيرة ، وغابات كثيفة أو غير كثيفة ، أحد مكونات البيئة الطبيعية والتي يشكل الحيوان الطبيعي عنصرا من عناصرها .

## الاغريق أول من نادى بالحتمية :

لعل الاغريق كانوا أول من أرسى دعائم الحتمية ، وحلّلوا تأثير عوامل البيئة في الانسان ، وأرجعوا التباين في البشر ، وسلوكهم وطبائعهم ، إلى المؤثرات البيئية . ففي عام ٤٢٠ ق . م عقد « هيبوقراط — Hippocrates » أو « أبو قراط » وهو أبو الطب وصاحب القسم الطبي الشهير — في مناقشته عن الهواء والمكان ، مقارنة بين سكان القارة الآسيوية الذين يتميزون بالتسامح والطيبة لكونهم يعيشون في منطقة كثيرة الخيرات وفيرة الأرزاق ، وبين الأوربيين الذين يكدحون ويشقون للحصول على قوتهم في بيئتهم الفقيرة . كما يقارن بين سكان الجبال طوال القامة ، أقوياء البنية ، وذوي الجرأة والشجاعة والنفوس الطيبة ، وبين سكان السهول الجافة ذوي الأجسام النحيلة ، والعضلات القوية ، والشعور الشقراء (١) .

ويردد « أرسطو » نفس الآراء في كتابه « السياسة » حيث يقول (٢) : « سكان الأقطار الأوروبية الباردة شجعان ، ولكن ينقصهم التفكير والمهارة الفنية ، ولهذا يتمتعون بالحرية مدة أطول من غيرهم ، كما ينقصهم التنظيم السياسي ويعجزون عن حكم جيرانهم . أما سكان آسيا فهم على النقيض ، حكماء ، ولكن ينقصهم الحماس ، ومن ثم كانت حالتهم الدائمة الخضوع » .

ويرى « أرسطو » بأن الاغريق يتمتعون بجميع المزايا والفضائل لأنهم يسكنون منطقة معتدلة ، باردة في الشمال وحارة في الجنوب (٣) .

## مسيرة الحتمية عبر الزمن :

بدأ الاهتمام من جديد بالحتمية ، وبخاصة في عصر النهضة الأوروبية نتيجة المعارف والحقائق المتراكمة عن أقطار العالم وشعوبها . وقد كان لحركة الكشوف الجغرافية ابتداء من القرن الخامس عشر للميلاد دور كبير في جلب كثير من المعلومات عن بلدان كانت مجهولة وعن حياة شعوب غير معروفة . وهذه المعارف والمعلومات استخدمت من قبل الباحثين والمفكرين في البرهنة على الحتمية . ففي نهاية القرن السادس عشر ، وصف « بودان — Bodin » سكان الأقاليم الشمالية بالشدة والشجاعة والخشونة في حين أن الجنوبيين يتميزون بالخبث والرغبة في الثأر ، وهم أقدر من غيرهم على التمييز بين الحق والباطل . أما شعوب المناطق المعتدلة فيتفوقون على الجنوبيين في قدراتهم ومواهبهم وفعالياتهم ، وفيهم الصفات التي تمكنهم من حكم الأمم وقيادتها .

ونجد مثل هذه الأفكار عند كثير من المفكرين وأصحاب الرأي البارزين على اختلاف تخصصاتهم فهذا «مونتسكيو—Montesquieu» في مؤلفه « روح القوانين » يقول بأن المناخ الحار يسبب الجمود في العادات والتقاليد والشرائع والقوانين ، ويقارن « مونتسكيو » بين شعوب العالم حسب طبيعة البيئة التي يعيشون عليها فيقول (٤) :

« ان سكان الجزر أكثر تمسكا بحريتهم من سكان القارات . وبما أن الجزر غالبا ما تكون صغيرة المساحة فان من الصعب أن يستعبد بعض سكانها البعض الآخر .. ان البحر يقف حاجزا فيمنع الغزاة ، ولذلك فان سكان الجزر يشعرون بالأمن وينعمون بحريتهم ويسهل عليهم التمسك بقوانينهم » .

## حتمية ابن خلدون :

كان عبد الرحمن بن خلدون الذي عاش في القرن الرابع عشر للميلاد من أكبر دعاة الحتمية وفلاسفتها والعاملين على نشرها وبثها بين الناس . وقد استفاد كثيرا من اطلاعاته الواسعة لمؤلفات من سبقه من الكتاب والمفكرين سواء كانوا عربا أو اغريقا ورومان . وتأثر بنظرياتهم وأفكارهم . ولعل فلسفة الحتمية كانت نتاج هذا الاطلاع الواسع وقراءاته المكثفة . ولكنه لم يكن مجرد ناقل لأفكار غيره بل كان مبدعا في كثير مما ألف وكتب وبحث ، وبخاصة فيما يتعلق بالعمران البشري والاجتماع والتاريخ وفلسفته .

وفيما يختص بالحتمية ، فقد جاء ابن خلدون بالكثير من الأدلة والبراهين التي يؤيد بها وجهة نظره مستفيدا من رحلاته المتعددة وجولاته في افريقيا وآسيا . وبناء عليه ، فقد استطاع ابن خلدون أن يستثمر هذه الرحلات والجولات في شرح العلاقة بين البيئة والانسان ، ومدى الارتباط بينهما ، ونوع التفاعل الموجود بين مختلف عناصر كل منهما ، وخرج بنتيجة مؤداها ان البيئة بمختلف عناصرها تؤثر في الانسان وتحتم نمط سلوكه وحياته كما سنرى الآن .

## العلاقة بين المناخ والانسان عند ابن خلدون :

يفرد ابن خلدون للمناخ في « مقدمته » جزءا خاصا تحت عنوان « في المعتدل من الأقاليم والمنحرف وتأثير الهواء في ألوان البشر والكثير من أحوالهم » . يقول فيه (٥) :

« ان المعمور من هذا المنكشف من الأرض أنما هو وسطه لافراط الحر في الجنوب منه ، والبرد في الشمال . ولما كان الجانبان من الشمال والجنوب متضادين في الحر والبرد وجب أن تتدرج من كليهما إلى الوسط ، فيكون معتدلا فالأقليم الرابع أعدل العمران .. فلهذا كانت العلوم والصنائع والملابس ، والأقوات والفواكه . بل والحيوانات وجميع ما يتكون في هذه الأقاليم الثلاثة المتوسطة مخصوصة بالاعتدال ، وسكانها من البشر أعدل أجساما وألوانا وأخلاقا وأديانا ، حتى النبوات فانما توجد في الأكثر منها .. وأما الأقاليم البعيدة من الاعتدال ... فأهلها أبعد من الاعتدال في جميع أحوالهم ، فبناؤهم بالطين والقصب ، وأقواتهم من الذرة والعشب ، وملابسهم من أوراق الشجر يخصفونها عليهم أو الجلود ، وأكثرهم عرايا من اللباس .. وأخلاقهم مع ذلك قريبة من خلق الحيوانات العجم حتى ينقل عن الكثير من ... أنهم يسكنون الكهوف والغياض ، ويأكلون العشب ، وانهم متوحشون غير مستأنسين يأكل بعضهم بعضا » .

ويسخر ابن خلدون من بعض النسابين الذين يقولون بأن السود هم نسل حام بن نوح ، واختصوا بهذا اللون لدعوة كانت عليهم من

أبيهم ، ظهر أثرها في لونه ، وفيما جعل الله من الرق في نسله . ويعلل سواد البشرة ابن خلدون إلى نوع المناخ الذي يعيش فيه السود وفي هذا يقول (٦) :

« ... وفي القول بنسبة السواد إلى حام غفلة عن طبيعة الحر والبرد وأثرهما في الهواء ، وفيما يتكون فيه من الحيوانات ، وذلك أن هذا اللون شمل أهل الاقليم الأول والثاني من مزاج هوائهم للحرارة المتضاعفة بالجنوب ، فان الشمس تسامت رؤوسهم مرتين في كل سنة ، قريبة احداهما من الأخرى ، فتطول المسامتة عامة الفصول ، فيكثر الضوء لأجلها ، ويلح القيظ الشديد عليهم ، وتسود جلودهم لافراط الحر ، ونظير هذين الاقليمين فيما يقابلهما من الشمال ، الاقليم السابع والسادس شمل سكانهما أيضاً البياض من مزاج هوائهم للبرد المفرط بالشمال ، إذ الشمس لاتزال بأفقهم في دائرة مرأى العين ، ولا ترتفع إلى المسامتة ، ولا ما قرب منها ، فيضعف الحر فيها ، ويشتد البرد عامة الفصول فتبيض ألوان أهلها » .

## الموارد البيئية وأثرها على البشر عند ابن خلدون :

ولا يقتصر تأثير البيئة في الانسان من حيث أجناسه وسلالاته ، وسلوكه وطباعه ، ونشاطه وأفعاله وانما يتعدى ذلك عند ابن خلدون إلى أثر الموارد البيئية على نمط الحياة وشكل العمران ، ويقول ابن خلدون في « المقدمة الخامسة في اختلاف أحوال العمران في الخصب والجوع ، وما ينشأ عن ذلك من الآثار في أبدان البشر وأخلاقهم » ما يلي :

« ان هذه الأقاليم المعتدلة ليس كلها يوجد بها الخصب ، ولا كل سكانها في رغد من العيش ، بل فيها ما يوجد لأهله خصب العيش من الحبوب والأدم والحنطة والفواكه لزكاء المنابت ، واعتدال الطينة ووفور العمران ، وفيها الأرض الحرة التي لا تنبت زرعا ولا عشبا بالجملة فسكانها في شظف من العيش » .

ويبالغ ابن خلدون في تأثير البيئة على الانسان مبالغة شديدة حتى فاق من سبقه من فلاسفة الحتمية ، فهو يربط بين الطعام والذكاء ، ويفسر ذكاء بعض الشعوب إلى نوع الأطعمة التي تتناولها ، وفي ذلك يقول (٨) :

« ... فانا نجد أهل الأقاليم المخصبة العيش الكثيرة الزرع والضرع والأدم والفواكه يتصف أهلها غالبا بالبلادة في أذهانهم والخشونة في أجسامهم ، وهذا شأن البربر المنغمسين في الأدم والحنطة مع المتقشفين في عيشهم المقتصرين على الشعير أو الذرة مثل المصامدة وأهل غمارة والسوس ، فتجد هؤلاء أحسن حالا في عقولهم وجسومهم ، وكذا أهل بلاد المغرب على الجملة المنغمسون في الأدم والبر مع أهل الأندلس المفقود بأرضهم السمن جملة وغالب عيشهم الذرة فتجد لأهل الأندلس من ذكاء العقول ، وخفة الأجسام وقبول التعليم ما لا يوجد لغيرهم » .

ونحن بالطبع لا نوافق ابن خلدون فيما ذهب إليه ، ونعتقد أنه تطرف ومبالغة ، فهو أعطى البيئة كل شيء ، ولم يحاول أن يبرز دور الانسان ، وتأثيره في البيئة وهذا ما سنوضحه بعد قليل .

## الحتمية في العصر الحديث :

حرص كتّاب القرنين الثامن عشر والتاسع عشر على ابراز أثر البيئة في الانسان ، ولكن منهم من ناقش الأمر بروية وعقلانية ، في حين أن بعضهم غالى في ذلك ووصل إلى حد التطرف . فالجغرافي الألماني الأشهر « الكسندر فون همبولت — Alexander Von Humboldt » ( ١٧٦٩ — ١٨٥٩ ) يعالج الموضوع بهدوء ويقول (٩) :

« لا حاجة لي بالخوف من أن يسيء البعض فهم كلامي فيظن أني أنكر ما للتكوين الطبيعي للقطر من أثر كبير في طبائع سكانه . ولا ريب في أن سكان المناطق الجبلية يختلفون اختلافا تاما عن سكان أقاليم السهول » .

ويقول « همبولت » في كتابه الشهير « الكون — Cosmos » عن مدى تأثير التضاريس في نشوء المدنيات القديمة وتطورها ما يلي (١٠) :

« سرعان ما ظهر أثر البحر في قوة الفينيقيين ، وفيما بعد في الشعوب الاغريقية ، كما ظهر ذلك في سرعة انتشار واتساع مدى اجراء والأفكار العامة » .

هذا وقد حمل الأفكار الحتمية مفكرون من كافة الاختصاصات مثل عالم الأحياء السويسري « ارنست هيكل — E. Haeckel » الذي أرسى قواعد علم جديد أطلق عليه « الايكولوجيا — Ecology » أو « علم البيئة » أي التكيف مع البيئة . وفي التاريخ اعتقد « بكل — Buckle » بالحتمية اعتقادا منه بأن ذلك خير من يرفع التاريخ إلى مستوى العلوم الطبيعية القائمة على السببية .

وتأتي العالمة الجغرافية الشهيرة « الين تشرشل سـمبل — Ellen C. Semple » على رأس غلاة المتطرفين للحتمية والمنادين ببسيطرة البيئة وبسلبية الانسان . وقد أخذت الأفكار الحتمية من أستاذهـا « راتزل — Ratzel » ، والذي تتلمذ من قبل على يد « هيكل » . إلا أن « سمبل » بالغت كثيرا في آراء أستاذها حتى اتهمها البعض بأنها أساءت إليه لأنها نشرت أفكارها باللغة الانجليزية في كتاب يحمل نفس اسم كتاب استاذها — Anthropo geography والذي نشر بالمانية فقط .

تقول « سمبل » عن البيئة وأثرها في الانسان وذلك في عام ١٩١١ ما يلي (١١) :

« الانسان نتاج سطح الأرض ، وليس معنى هذا أنه مجرد ابن الأرض وجزء من ترابها ، ولكن معناه أن الأرض أرضعته ، وغذته ، وحددت واجباته ، ووجهت أفكاره ، وجابهته بالصعاب التي تقوي جسمه وتشحذ عقله ، وأعطته مشاكل الملاحة ، ومشاكل الري ، وفي الوقت نفسه همست له بحلول لتلك المشاكل . لقد تغلغلت في عظامه ولحمه وروحه وعقله » .

لاشك في أن مثل هذا القول مبالغة في أثر البيئة ، وتحقير للانسان الذي يبدو وكأن لا دور له ، ولا أثر له . وفيه أيضاً الكثير من المغالطات . فقد كشفت الدراسات البشرية المتعمقة في مختلف جهات العالم عن أمور كثيرة لا يمكن تفسيرها من الناحية البيئية وحدها ، فهناك بيئات متشابهة طبيعيا ، ولكنها مختلفة بشريا . فمثلا يختلف سكان الاسكيمو كثيرا عن الجماعات البشرية التي تقطن التندرا في سيبريا ، كما أن الأقزام الصيادين يسكنون مع الزنوج الزراعيين في الغابات الاستوائية في وسط افريقية ومع ذلك فهما على طرفي نقيض .

كما أن فعالية الانسان لا يمكن انكارها فمراكز الصناعة اليوم لا تعتمد على العوامل

البيئة بمقدار ما تعتمد على الكثير من العوامل البشرية . ولو حاولنا تفسير شتى الظاهرات البشرية والفعاليات كنشوء المدن والمستوطنات والزراعة وأنماطها ، لوجدنا أن البيئة وحدها ليست السبب في كل ذلك .

## نشأة الامكانية :

يميل المختصون في العلوم الانسانية إلى ابراز دور الانسان واظهار فعاليته ونشاطه ، ويقولون بأن الانسان ليس بالكائن السلبي أو الخامل الذي يتقبل المؤثرات البيئية دون أن يكون له دور . انه على خلاف الكائنات الأخرى ، فبفضل العقل الذي أنعم الله به عليه يستطيع أن يذلل الكثير من عقبات البيئة ، ويحل أمورا كانت مستعصية ، بل وتعدى هذا الدور وصار يؤثر في البيئة محدثا فيها تغييرات جوهرية ملموسة ، فقد شق الانفاق في الجبال ، وحفر الترع والقنوات ووصل البحار ، وأقام التلال ، وأباد الحشائش ، والغابات ، وساعد على انقراض بعض الحيوانات ، وعمل على توالد البعض الآخر ، وأحدث بذلك معالم بيئية جديدة . كما تدخل في الطقس والمناخ ، وتغلب على الحرارة الشديدة ، والبرودة المتطرفة ، وسبب تخلخلا في الدورة الهوائية ، وتغيرات واضحة في الطقس والمناخ العالمي ، مما قد يؤدي إلى نتائج خطيرة .

ان الدور الايجابي الذي يؤديه الانسان على سطح الأرض ، وضمن حدود بيئته الطبيعية ، كان الأساس الذي قامت عليه فلسفة الامكانية — Possibilism والتي تنادي بقدرة الانسان وامكانياته في تذليل عقبات البيئة . وعلى الرغم من أن العالم الفرنسي « لوسيان فيفر — Febvre » هو أول من أطلق كلمة « الامكانية » في كتابه « مقدمة جغرافية للتاريخ » إلا أنها كفلسفة ارتبطت بشكل قوي بكتابات استاذه الجغرافي الفرنسي الشهير « فيدال دي لابلاش — Vidal de la Blache » ( ١٨٤٥ — ١٩١٨ ) ، وكذلك كل من « بومان — I. Bowman » و « كارل ساور — Carl Sauer » في الولايات المتحدة الامريكية . ويرى « لابلاش » أن هناك دورا ينبغي أن يوكل إلى الانسان بوصفه عاملا جغرافيا . والانسان ايجابي وسلبي في وقت واحد . والنشاط البشري يعمل على تعديل الظواهر العضويــة وغير العضوية على سطح الأرض . وفي هذا الصدد يقول « لابلاش » ما نصه (١٢) :

« لا يستخدم الانسان عندما يغير معالم سطح الأرض ، الوسائل غير العضوية وحدها وهو لا يقنع بأن يستخدم الآثار التي تتخلف عن تحلل التربة بطريق الحرث ، ولا يكتفي باستغلال المساقط المائية بما لها من قوة الجاذبية المستمدة من اختلاف تضاريس سطح الأرض ، ولكنه يتحالف مع جميع القوى الحية التي تشتمل عليها أحوال البيئة التي يعيش فيها ، ولهذا فهو شريك للطبيعة في دورها » .

وبهذا القول يرى « لابلاش » بأن هناك تفاعلا بين البيئة والانسان فهي لا تحتم عليه نمط حياته وسلوكه وأفعاله ، وهو أيضاً لا يستطيع انكار دور البيئة عليه .

أما « لوسيان فيفر » فيغلب دور الانسان ويعطيه وزنا أكثر من الوزن الذي أعطاه له استاذه « لابلاش » . يقول « فيفر » في هذا الشأن ما يلي (١٣) :

« الانسان عامل جغرافي ، بل أنه ليس أقل العوامل الجغرافية شأنا ، وفي كل مكان يساهم الانسان بنصيب في تغيير وجه الأرض فيكسبه ملامح جديدة ، وهي المهمة التي يجب على الجغرافية أن تدرسها . وعلى مر العصور وكر الأعوام تراكم نتائج أعماله وبهذه الأعمال وبالاقدام والتصميم في الجهود التي يبذلها يمكننا أن نقول : ان الانسان عامل من أقوى العوامل التي تشكل وجه الأرض » .

وقد بالغ « فيفر » فيما بعد في دور الانسان معطيه كل شيء بعد أن سلب البيئة من كل شيء فهو يقول (١٣) : « لا توجد في الطبيعة ضروريات أو حتميات ، بل هناك دائما امكانيات ، وبما أن الانسان سيد الامكانيات فانه هو الذي يحدد ما يستعمله منها » .

## الحتمية والامكانية في الميزان :

وخلاصة القول ان الحتمية قللت من دور الانسان ، وربما أهملته في حين ان الامكانية أعطته دورا بارزا . ونحن بدورنا لا نقلل من تأثير البيئة في الانسان ، وكذلك لا ننكر دور الانسان في البيئة . فالبيئة لها تأثير واضح في الفعاليات والأعمال التي يقوم بها الانسان فهو يستثمر مواردها ، ويستغل امكاناتها . وتختلف الأعمال والنشاطات بحسب موقع تلك البيئة فنجد أن الموقع البحري على سبيل المثال يغري الناس بالحرف البحرية ، في حين أن المناطق السهلية الخصبة ساعدت على قيام الزراعة . أما البيئات ذات الأعشاب الوفيرة فقد مهدت إلى نشوء حرفة الرعي . وفي المناطق الجبلية ذات الموارد المعدنية ، امتهن الانسان حرفة استخراج المعادن . ولكن على الرغم من هذا فانه يمكن القول بأنه لولا فعالية الانسان وقدراته لما استطاع استغلال تلك البيئة واستثمارها ، ولكان شأنه شأن سائر الكائنات الأخرى التي تخضع للبيئة خضوعا مطلقا . وعلى أية حال فان العلاقة بين الانسان والبيئة علاقة تفاعلية أي أن كل منهما يؤثر في الآخر ويتأثر به ، وان من الأفضل للانسان عدم الاخلال بالنظام البيئي لأن في هذا خطرا كبيرا على الانسانية ومستقبلها □

---

1. James, P.E,. "All possible Worlds", A History of Geographical Ideas, The Bobbs Merril, New York, 1972, P. 43.
2. Ibid, PP. 33-35.
3. Ibid.

( ٤ ) جريفت تيلور ( محرر ) « الجغرافية في القرن العشرين » ( مترجم ) ج ١ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، صفحة/١٧٧ .

( ٥ ) عبد الرحمن بن خلدون ، « كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر » ، دار العودة ، بيروت ، صفحة/٦٥ — ٦٨ .

( ٦ ) المرجع نفسه .

( ٧ ) المرجع نفسه ، صفحة/٦٩ — ٧٣ .

( ٨ ) المرجع نفسه ، صفحة/٧٠ .

( ٩ ) جريفت تيلور ، مرجع سابق ، صفحة/١٨١

( ١٠ ) المرجع نفسه ، صفحة/١٨١ .

( ١١ ) المرجع نفسه ، صفحة/١٩٧ .

( ١٢ ) المرجع نفسه ، صفحة/٢١١ .

( ١٣ ) المرجع نفسه ، صفحة/٢١٠ .

( ١٤ ) حسن طه النجم ، « دراسة في الفكر الجغرافي » مجلة عالم الفكر ، المجلد الثاني ، العدد الثاني ، ١٩٧١ ، صفحة/١٢٨ .

# بيئة المغول وحياتهم الاجتماعية (٨)

بقلم : د. سعد حذيفة / الرياض

تحدثنا في الحلقة السابقة عن الزواج وطرقه وأنواعه في المجتمع المغولي الذي تربى ونشأ فيه "جنكيزخان" مؤسس امبراطورية المغول وبانيها، وسنتحدث في هذه الحلقة عن "المرأة ومكانتها في المجتمع"

تعتبر المرأة المغولية صاحبة مكانة عالية في المجتمع الذي تعيش فيه ، وذات أهمية خاصة . وتأتي أهمية المرأة من طبيعة العمل الذي تقوم به ، سواء كان ذلك على مستوى بيتها وأسرتها الصغيرة ، أو على مستوى العشيرة ، أو القبيلة ، أو الدولة . فهي تعتبر العضو الأكثر فعالية وانتاجا من الرجل .

وتذكر الروايات التي بين أيدينا ما تقوم به المرأة من أعمال مخصصة لها ، وكأنها خلقت لتقوم بها ، إذ تعتبر بالدرجة الأولى من صلب شؤونها . فهي التي تقوم بتحميل حاجات الأسرة وممتلكاتها وأمتعتها على العربات المشرعة ، وترتيبها بعناية ، وبقيادة الخيول أو الحيوانات التي تجر تلك العربات ، عند الانتقال من مكان إلى آخر . كما تقوم المرأة المغولية باصلاح أية عربة قد تصاب بعطل أو عطب أثناء التنقل والترحال . وكذلك بتحميل الجمال ، وتنزيل أحمالها في نهاية الرحلة . وهي المسؤولة أيضاً عن تنزيل تلك الأمتعة عندما تحط الأسرة رحالها في مكان ترتضيه لاقامتها الجديدة .

وأثناء التنقل والترحال تستطيع المرأة المغولية أن تتدبر أمر عشرين أو ثلاثين عربة ، وذلك نظرا لاستواء سطح الأرض ، حيث تقوم المرأة بربط جميع العربات بالعربة الأمامية ، واحدة تلو الأخرى . ثم تجلس هي في العربة الأمامية ، والحيوانات التي تقوم بجر تلك العربات — والتي غالبا ما تكون ثيرانا أو جمالا ، والنوعين معا — تتبعها علي التوالي . وإذا ما وصلت القافلة إلى



المرأة المغولية ماهرة في ركوب الخيل .



المرأة المغولية تعمل في التجارة وبيع السلع .

منطقة وعرة ، لجأت المرأة إلى فصل العربات بعضها عن البعض الآخر ، وأخذت تقود كل عربة بمفردها ، حتى تتمكن القافلة بأسرها من عبور تلك المنطقة الوعرة . أما سرعة سير تلك العربات فبطيئة جدا ، إذ أنها مقيدة بسرعة سير نوع الماشية التي تمتلكها الأسرة أو القبيلة من أغنام أو أبقار .

وتقوم المرأة المغولية أيضاً بحلب وصرب الأبقار ، وما يتعلق بانتاج هذا النوع من الحيوان ، وهي التي تقوم بدباغة الجلود (١) ، ثم خياطتها بأوتار جلدية ، أو من السيور الجلدية الرفيعة ، والمرأة نفسها هي التي تقوم بتسيير هذه الخيوط من الجلد المدبوغ ، فتجعله في شكل خيوط رفيعة ، ثم تقوم ببرمها ، حتى تصبح خيوطا غليظة ، ذات طول وسمك مقبولين للخياطة .

ومن الأعمال التي تقوم بها المرأة المغولية ، صنع وخصف الأحذية ، وحياكة الجوارب ، والثياب ، والطماق (٢) ، وهي التي تصنع الخيام الجلدية ، وهي التي تقوم بتغطية منزل الأسرة . وبالجملة ، فان المرأة تصنع كل شيء يستخدم الجلد في صناعته ، وهل كان لدى المغول أي شيء آخر غير الجلد ؟ فقد كانت حتى ثيابهم تصنع من الجلد ، كما ذكرنا ذلك في الفصل الخاص بلباس فرد المجتمع المغولي .

والمرأة المغولية ، مثلها مثل أية امرأة في معظم المجتمعات الدولية الأخرى ، هي التي تقوم بتربية أطفالها ، ورعاية شؤونهم . كما تقوم بترتيب وتدبير شؤونها المنزلية ، حسب الطريقة المغولية المتبعة داخل المسكن ، والمرأة المغولية تتمتع بقدرة عجيبة ، إذ لا تتعب أو تكل أو تمل من أداء تلك الأعمال ، فتقوم بها خير قيام ، بكل عناية وكفاءة .

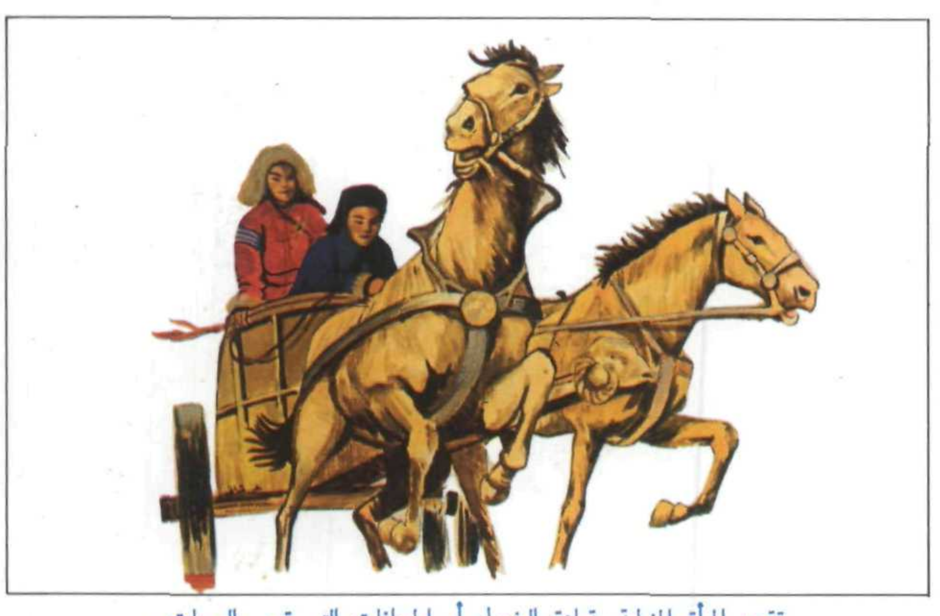
وبالاضافة إلى الأعمال الآنفة الذكر تقوم المرأة المغولية أيضاً بالاشتراك مع عشيرتها في الحروب التي تخوضها ضد عشائر أو قبائل أخرى ، تلك الحروب الدائمة التي لا تكاد تنقطع حتى تبدأ من جديد ، كظاهرة تسيطر على كل مجتمع بدوي ، كالمجتمع المغولي . فالمرأة المغولية ، في هذا الميدان ، لا تكاد تقل عن الرجل مهارة في ركوب الخيل ، وفي حسن استخدام أنواع السلاح ، كالقوس والرمح ، وما شابه ذلك . كما أن لها القدرة على مداومة ركوب الخيل المتواصل ، كأي انسان مغولي ، الذي قد يدوم أكثر من أربع وعشرين ساعة ، حتى ان أحدهم روض نفسه على

النـوم وهـو على صهوة جـواده .

وبهذا الصدد يحدثنا « وليم الربركي » عن مقدرة المرأة المغولية على ركوب الخيل ، فيقول بأن المرأة المغولية عندما تمتطي صهوة جوادها ، فانها تقوم بربط غطاء رأسها « طربوش أو قلنسوة » برباط أو بخيط حريري سماوي اللون حول خصرها ، كما تقوم بشد صدرها بحزام معين ، واتقاء لشدة لفح حرارة الشمس وسمومها في فصل الصيف ، أو شدة البرد في فصل الشتاء ، فانها تربط عصابة بيضاء تحت العينين ، وتحزمها وراء العنق ، وتتدلى بقية العصابة على صدرها ، فتكون بذلك قد حمت وجهها وعنقها من التعرض للحرارة أو البرودة أثناء انطلاق فرسها (٣) .

بعد أن ظهر المغول ، بزعامة « جنكيزخان » وانفتحوا على العالم المتحضر شرقا وجنوبا « ممثلا في حضارة الصين العريقة » وغربا « ممثلا في الحضارة الإسلامية » ، وبعد أن امتدت امبراطوريتهم من المحيط الهادي شرقا إلى جبال الكرباش وسوريا غربا ، ومن سيبيريا شمالا إلى شبه القارة الهندية ، والهند الصينية جنوبا ، نجد أن المرأة المغولية ماتزال تحتفظ بنفس المكانة المرموقة في المجتمعات المغولية الجديدة ، وفي أية بقعة من بقاع امبراطوريتهم المترامية الأطراف . فقد ظلت تلعب الدور الهام نفسه في إدارة شؤون ورعاية أسرتها ، وخاصة النساء العاديات . فبعد قرن ونصف القرن تقريبا من خروج المغول من عزلتهم في تلك العوائق الطبيعية ( صحراء وكوبي من الجنوب ، وجبال كنتي وثلوج سيبيريا من الشمال ، ومرتفعات خنكاس من الشرق ، وسلاسل مرتفعات جبال الطائي من الغرب ) نجد أن المرأة المغولية تتوسع في نوعية العمل الذي تقوم به ، حسب ما تمليه ظروف حياتها المعيشية في مجتمعها الجديد .

وقد أصبحت النساء المغوليات يحترفن مهنة جديدة ، وهي مزاولة الأعمال التجارية . وحول هذا الموضوع ، يذكر الرحالة المسلم « ابن بطوطة » بأن المرأة المغولية في أقليم القبتشاق ، تحترف التجارة وبشكل كبير ، إذ تأتي ومعها عربتها تجرها الخيل ، ومعها جواريها وخدامها ، بالغنم واللبن ، وغيرها من المنتجات الحيوانية ، فتبيعه على الناس بصورة مقايضة ، وخاصة السلع الكمالية كالعطور ، ومتطلبات الأسرة من المنتجات الأخرى التي لا تستطيع صنعه داخل مجتمعها الصغير . وقد



تقوم المرأة المغولية بقيادة الخيول أو الحيوانات التي تجر العربات .

يكون للمرأة السيطرة التامة في رعاية شؤون أسرتها ، بما فيها زوجها ، إذ يقول ابن بطوطة « . . . وربما كان مع المرأة منهن زوجها فيظنه من يراها بعض خدامها ، ولا يكون عليه من الثياب إلا فروة من جلد الغنم ، وعلى رأسه قلنسوة تناسب ذلك ، يسمونها الكلا » (٤) .

لا يكاد يختلف هذا المركز الهام ، الذي تلعبه المرأة المغولية في مجتمع قومها الجديد الذي كان لهم في شرق وجنوب شرق امبراطوريتهم العالمية ، في أراضي الصين ، عنه في مجتمع أختها الجديد أيضاً في الغرب « القبتشاق » . يحدثنا الرحالة الايطالي « ماركو بولو » في هذا الشأن حيث يقول بأن النساء المغوليات أصبحن يمتهن حرفة التجارة ، فالمرأة تبتاع وتشتري ، ويمارس النساء أيضاً كل الأعمال التي يحتجنها أنفسهن ويحتاجها مجتمعهن الذي يعشن فيه ، وتعمل كل ما تحتاجه أسرهن وأسيادهن . أما ما يتعلق بما يحتجن من مصروفات فلسن في هذا الشأن عالة ، أو عبئا على الأزواج . لذلك فأنهن يكسبن مكاسب كثيرة مما يقمن به من أعمال ، تدر عليهن ما يستطعن به النفقة على أنفسهن ، وأسرهن أيضاً .

أما ما يقمن به من رعاية لأسرهن ، فأنهن في هذا المقام حكيمات ، وذوات خبرة ممتازة . فالمرأة تدير جميع شؤون أسرتها بدقة متناهية ، وبكل خبرة ودراية ، كما انهن يصنعن الطعام بعناية فائقة . لهذا السبب (على حد تعبير الرحالة هذا ) لم يعد للرجل أية وظيفة في هذا الميدان ، ميدان العناية بالأسرة ، فتركه إلى زوجته وأوكله إليها (٥) .

## عفّة المرأة المغوليّة :

تتمتع المرأة المغولية بسمعة ممتازة ، لا تكاد ترقى إليها الشكوك ، أو الريب . يقول عنها « جون الكربيني » بأنها امرأة عفيفة ، لا تقوم بارتكاب أي عمل قد يدني من شرفها المرموق ، أو يسيء إلى سمعتها الطيبة . كما أنه لم يسمع عنها أنها تتفوه بكلام ناب أو بلغة قبيحة ، اللهم إلا في حالات نادرة عند المزاح أو الفكاهة .

وحول هذا الموضوع أيضاً ، يحدثنا « ماركوبولو » عن المرأة المغولية ، فيصفها بصفات طيبة ، ويغبط الرجل المغولي على أنه يملك مثل تلك المرأة الصالحة . فالمرأة المغولية في شغل دائم دؤوب ، منهمكة في عملها تؤديه بكل حنكة ودراية ، وبكل حب وتلهف ، سواء كان ذلك عملا تجاريا ، أو عملا بيتيا كرعاية أسرتها وأولادها .

وهنا يقول « ماركوبولو » بحكم تجربته ، وعلى حد حكمه الخاص ، بأن المرأة المغولية هي المرأة الوحيدة في العالم التي تستحق كل ثناء واطراء لأعمالها الطيبة ، وخاصة ما تتمتع به من صفات الطهارة والفضيلة . كما أنهن أهل لكل حمد واطراء لعفتهن وولائهن الذي لا يقف عند حدود لأزواجهن . ثم يقارن « ماركوبولو » بينها وبين المرأة الأوروبية والايطالية على وجه الخصوص — فيقول بأنه يشعر بالخزي والخجل عندما ينظر إلى خيانة النساء لأزواجهن ، مع العلم بأن المرأة الواحدة منهن لا يشاركها في

زوجها نساء أخريات ، ومع هذا فلا تحافظ على فضيلتها وعفافها وطهارتها .

وفوق ذلك ، فان المرأة المغولية تتصف أيضاً بصفة ممتازة ، وهي أنها لا تكذب على زوجها ، وهي امرأة كادة ، كادحة ، تتكبد المشاق في سبيل تأدية أعمالها المنزلية المطلوبة أداء ممتازا ، وعلى خير مايرام (٦) .



## حرفة الرَّجل المغولي :

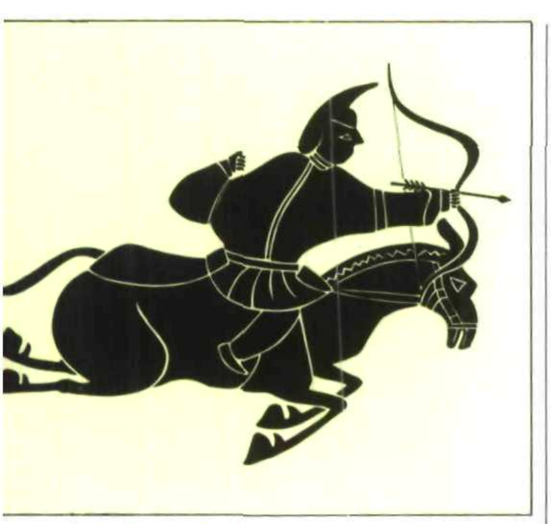
ان ما تطرق إليه « جون الكربيني » عن الرجل المغولي ، من أنه لا يعمل شيئا على الاطلاق ، ليس صدقا كله وإن كان العمل الذي يقوم به الرجل لا يقاس بما تقوم به المرأة في خدمة أسرتها ومجتمعها . فالرجل يبدو أنه خصص لنفسه أعمالا معينة يقوم بها عندما يترك نساءه ينجزن بقية الأعمال . فهو قد حصر نفسه في مهنتين رئيسيتين ، ولو أنه يقوم بأعمال جانبية إلى جانب تلك المهنتين وهما الصيد والحرب ، فهو يصنع الأقواس ، ويعمل السهام ، كما يصنع الركاب ، واللجام ، والسرج ، وأدوات الحرب ، كالسيف والحربة وغيرهما مما يتعلق بهذه المهمة . ومع ذلك ، فانه يتوفر لدى الرجل وقت كبير وكاف ، فوق ما يقضيه في انجاز تلك الأعمال . لذلك نجد الرجل يشارك المرأة في اقامة وبناء المنازل « الخيام » على العربات الخاصة بها ، كما يقوم أيضاً برعي الجياد والأفراس . ونظرا لحب الفرد المغولي وتعلقه بهذا النوع من الحيوان ، فانه — على ما يبدو لنا — قد خص نفسه بالقيام برعايتها والعناية بها ، بل وجعل من مهامه الرئيسية في هذا الميدان حلب وصرب الأفراس ، وأيضاً يصنع سقاء حليبها ويمخض لبنها وما يستنتج منه .

كما يشارك الرجل — في أحيان كثيرة — المرأة في تحميل الجمال عند شد الرحال ، ثم تنزيل الاثقال عندما يحط رحاله في المكان الذي أرتضته الأسرة لاقامتها . وبالاضافة إلى ذلك نجد أنه يشارك في رعي الأغنام ، والماعز ، ثم حلبها وصربها ، فلا فرق بين الرجل والمرأة في أداء هذا النوع من العمل .

ومع ذلك ، فان الرجل لا يستغرق — كما قلنا — وقتا طويلا في انجاز هذه الأنواع من الأعمال ، إذ أنها في حد ذاتها أعمال وقتية ، أي مرتبطة بوقت معين لتنفيذها . لذلك ، نجد أن الصيد يكاد يحتل معظم وقت الرجل في حياته اليومية . ويقوم الرجل المغولي بتقلد قوسه ، ثم يحمل كنانة سهامه ، ويسرح صبيحة يومه ينشد حظه من الصيد .

تتمتع الأراضي المغولية بأنواع شتى من الطيور ، وبوفرة في حيواناتها البرية التي تمد الانسان بمعظم قوت يومه ، واستعرضنا ذلك بايضاح عندما تناولنا الحياة الحيوانية في منغوليا ، في حلقة سابقة .

ومن المعروف أن الانسان المغولي ، رجلا كان أم امرأة ، لا يفوقه أي انسان في العالم — على ما أظن — في حسن استخدام القوس ، والرمي به ، فيصيب هدفه بدقة متناهية تدعو إلى الذهول . وقد يكون المرء منهم راكبا جواده ، ثم ينطلق به وراء الصيد فيطلق سهامه من قوسه ، وجواده ينطلق بأقصى سرعته ، فيصيب هدفه بكل دقة ، وفي عين المكان الذي أراده ذلك الصياد ، وفي القليل النادر ما يخطىء الهدف . كما أن الرجل منهم يستطيع أن يصيب هدفه ، وهو ينظر إلى الخلف راكبا على جواده وهو يسرع به إلى الأمام .



رسم تزييني وقد حوت سرعة وضراوة الفارس المغولي رامي السهام بكل معانيها .

قد يظن القارىء ان ذلك من قبيل المبالغة ، ولكنها حقيقة أثبتها من شاهدهم بأم عينيه ، كالرحالة الأوروبيين ، والمؤرخين المسلمين ، الذين خدموا في سلك إدارة الأمبراطورية المغولية . كيف لا والرجل منهم يبدأ في تعلم ركوب الخيل ، والتمرس على حسن استخدام القوس منذ الصغر . فيحدثنا من شاهدهم « جون البلانو الكربيني » بأن المغول الكبار والصغار ، يمارسون الرماية وركوب الخيل منذ الصغر ، حيث يبدأون في تعليم الأطفال على هذين النوعين من أنواع الفروسية منذ سن الثانية أو الثالثة . فيعلمونهم ركوب الخيل في هذه السن المبكرة من أعمارهم ، كما يصنع الرجل المغولي لابنه قوسا يناسب سنه وعمره ، ويبدأ في تعليمه الرماية به ، وكيفية استخدام سلاحه ، ثم كيف يدافع به عن نفسه .

لهذا ، فلا غرابة ، إذا ، أن نجد أن المغولي



المرأة المغولية تتمتع بقدرة عجيبة ، فهي لا تكل من العمل في الحل والترحال .





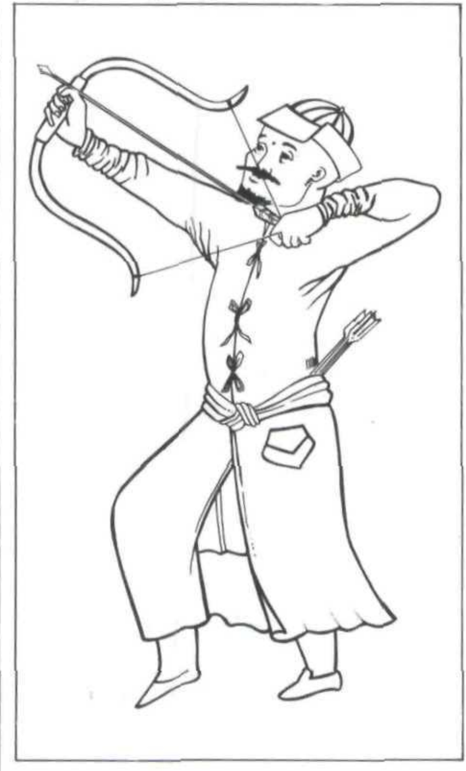
ذا ينطلق الصياد المغولي بجواده خلف صيدته ،
مدد سهمه بكل دقة في عين المكان الذي اراده .

صغيرا كان أم كبيرا ، رجلا كان أم امرأة ، يتحلى بالرشاقة ، والقوة ، وسرعة الحركة ، والجرأة (٧) .

ومع ذلك ، فانه يظهر لنا ان الطفل المغولي لا يستطيع أن يجلب الصيد على مستوى كفاية الأسرة قبل سن الثامنة ، أو التاسعة ، وأحياناً الحادية عشرة من عمره . وذلك ما يمكن أن نستنتجه مما رواه لنا في هذا الشأن رشيد الدين ، في كتابه « جامع التواريخ » حيث يذكر أن حفيدين من أحفاد جنكيزخان جاءا لمقابلة جدهما أثناء عودته من حملته العسكرية الغربية ضـــد الأقطار الاسلامية ( ٦١٦هـ / ١٩١٩م — ٦٢١هـ / ٢٢٣م ) وهذان الحفيدان هما « قبلاي » و « هولاكو » ابنا ثولي بن جنكيزخان ، وكان الأول يبلغ من العمر الحادية عشرة ، والثاني التاسعة من من العمر . وفي مكان على حدود الأراضي النيمانية ، أي بين مقاطعتي « سينكيانك » و « كازخستان » الحاليتين (٨) . وهناك جرى أول عملية صيد على مستوى الرجال لكل من هذين الأميرين الصغيرين . وقد استطاع « هولاكو » وهو ابن التاسعة أن يصيد غزالا ، بينما كان صيد « قبلاي » وهو ابن الحادية عشرة ، أرنباً (٩) .

هناك طقوس معينة تجرى اقامتها في المجتمع المغولي . كغيره من المجتمعات الأخرى . وهذه الطقوس تجري كمناسبة تقام لكل صياد مباشرة بعد قتله أول صيد يجلبه . وغالباً ما تكون هذه المناسبة مصحوبة باحتفال ، قد يكبر وقد يصغر حسب مكانة الصياد الصغير الاجتماعية ، والتي يستمدها من مكانة أبيه وأسرته ، وهذا الاحتفال يستمر لعدة أيام وهم في أكل وشراب ومرح وفرح . وفي أثناء ذلك تجرى تلك الطقوس للصياد الصغير ، اذ يقوم بادارتها والاشراف على تنفيذها أمهر صياد في القوم ، وذلك اعتقاداً منهم بأن الصياد الصغير ستكون له المهارات والخبرات التي يتمتع بها الصياد الكبير الماهر .

وفي هذه المناسبة ، يذكر التقرير أن جنكيزخان نفسه هو الذي أشرف على اجراء



رسم لصياد مغولي أثناء استعداده لإطلاق سهمه القاتل من القوس .



رسم للصياد المغولي

تلك الطقوس لحفيديه الصبيين « قبلاي » و « هولاكو » . من هذه الطقوس ، انه عندما يشرع الطفل في أية مرحلة من مراحل عمره غالباً ما يكون بعد سن الثامنة — في أول عملية صيد له ، فانه يؤتى بصيده ، ويقوم ذلك الصياد ، الذي تجرى تحت رئاسته طقوس ذلك الاحتفال بهذه المناسبة ، فيغمس الأصبع الأكبر (الابهام) للصياد الجديد في دم صيده ، ثم يدهنه من الدسم الذائب من


صيد حمار الوحش

شحمها . وبعد هذه اللحظة يصبح ذلك الصبي بصفة رسمية كواحد من الرجال الصيادين (١٠).

بالاضافة الى الصيد بواسطة القوس والسهم ، فان المغولي كان وما يزال يستخدم الصقور في حرفته هذه ، فهو يربي أنواعاً من الصقور منها « الباز » و « السنقور أو الشنقر » و « الباز الجوال » ، وباعداد كبيرة جداً . فيخرج الرجل منهم للصيد ، وهو يحمل صقره على يده اليمنى ، فيربط سيراً من الجلد الرقيق ، الناعم الملمس ، حول عنق الصقر ، فيتدلى الى أسفل ومن وسط مقدمة الصدر ، بحيث يستطيع الرجل ان يجذب بيده اليسرى صقره ورأسه وصدره معاً ، الى أسفل حتى لا يلحق الأذى به ، عندما يطلقه خلف فريسته ، أو أن تعوق الريح طيرانه . ويصف لنا « ماركو بولو » بأن الرجل المغولي يمتلك أحسن أنواع الصقور في العالم (١١).

كما يوجد لدى المغول طريقة أخرى للصيد ، يحصل بها الرجل على غالبية قوت يومه ، وهي مطاردة الصيد . ومن أنواع الحيوانات التي تقع تحت قائمة ما يصيده المغولي بهذه الطريقة القرموط حيث يصيدونها بأعداد كبيرة جداً ، خاصة في فصل الشتاء ، عندما تتجمع بكثرة ، فيصيد الرجل ما بين العشرين والثلاثين منها في آن ومن مجمع واحد لها .

ومما يصيده المغولي كذلك ، الأرانب ، وحمر الوحش ، والغزلان أما بالسهم أو بالجري أو بمطاردته من على صهوة جواده فيرهق صيدته حتى تقع على الأرض . كما أن الكلاب تلعب دوراً مهماً في حرفة الصيد لدى المغول (١٢) .

ويمارس المغول نوعاً آخر من الصيد ، وهو الصيد الجماعي ، حيث يقوم جماعة تقل وتكثر حسب نوع وكمية الصيد المراد صيده . وغالباً ما يخصص هذا النوع من الصيد لاصطياد الحيوانات الوحشية الكاسرة ، كالأسود والنمارة ، والفهود ، وغيرها . وفي هذا الصيد يقوم المجتمعــون ، وهم غالبـــاً سرية مــن سرايا الجيش المغولي ، فيعملون حلقة كبيرة تحيط بالمنطقة التي يعتقد بأن حيواناً أو أكثر يوجد فيها . ثم يقومون بتضييق تلك الحلقة حتى يحصروا الحيوانات داخل حلقتهم ، فيقومون باصطيادها ، وان ارادوا اطلاق سراحها فعلوا ذلك ليعاودوا الكرة مرة أو مرات لغرض التمرين العسكري . وقد كان هذا النوع من الصيد فيما بعد من أنواع الرياضة المحببة لدى الخانات المغول ، وذلك للحفاظ على اللياقة الدائمة لدى الجنود ، ولاعتبارها نوعا من الممارسة العسكرية التي تستمر أياما أو أسابيع ، بل شهوراً في بعض الأحيان .

وحول هذا النوع من الصيد ، يذكر « الجويني » ان الخانات المغول يولون عملية هذا النوع من الصيد عناية كبيرة ، ويطاردون الحيوانات المتوحشة ، حيث لا يمارس المغول هذا النوع من الصيد ، للصيد في حد ذاته ، بل لكونه يبقي الرجال عامة والعسكريين منهم خاصة ، في مركز راق من حيث التأهيل والتأهب ، والاستعداد لقتال الخصوم . لذلك فان تدريب الرجل على مطاردة صيد له ، واقتناصه لطريدته تعلمه كيف يقاتل خصومه بكل حنكة ودراية ، فيطارد أعداءه ويطوح بهم ، كما يطارد وحشاً يريد اقتناصه (١٣)□

**المصادر :**

(١) لدباغة الجلود ، يستخدم المغول لبن الشياه الحامض ، مخلوط ، أو محلول ، فيه ملح .

(٢) الطماق : لباس أو كساء الساقين ، ونشاهد هذا النوع لدى رعاة البقر والهنود الحمر في أفلام « رعاة البقر ، والهنود الحمر » في أمريكا .

(٣) وليم الربركي ، رحلة وليم الربركي إلى الأجزاء الشرقية من العالم ، تحقيق ، دوسون ، « البعثة المغولية » ص . ص ٩٥ — ١٠٢ .

(٤) كلمة « كلاه » كلمة فارسية ، وتعني « القبعة » وكما هو معروف عن ابن بطوطة بأنه يجيد عدة لغات منها « الفارسية والتركية » ويبدو أن هذه الكلمة أصبحت تستخدم بمعناها في هذا الاقليم المغولي ، اقليم « القبتشاق » حيث كانت تقوم دولة المغول المعروفة في التاريخ بـ « القبيلة الذهبية » . ابن بطوطة « رحلة ابن بطوطة » ، ص ٣٣٠ .

(٥) ماركو بولو ، « وصف العالم » ج ١ ، ص ١٦٩ نقلا عن « تاريخ المغول » البرتولد اسبولر ، ص . ص/١٧٢ — ١٧٣ .

٦ — ماركو بولو ، « وصف العالم » ج ١ ، ص / ١٧٠ نقلا عن اسبولر ، « تاريخ المغول » ص/١٧٤ .

(٧) جون الكربيني ، « تاريخ المغول » تحقيق ، دوسون « البعثة المغولية » ص/١٨ .

٨ — حدد الموقع الأستاذ الدكتور ج . أ . بويل ، في مقالته « طقوس الصيد في آوراسيا » ، فلكلور ٨٠ لندن ، ١٩٦٩ م ، ص/١٢ ، بأنه كان بالقرب من مدينة « ايميل » الواقعة في المقاطعة المعروفة في الوقت الحاضر بـ « تشوكوتشك » .

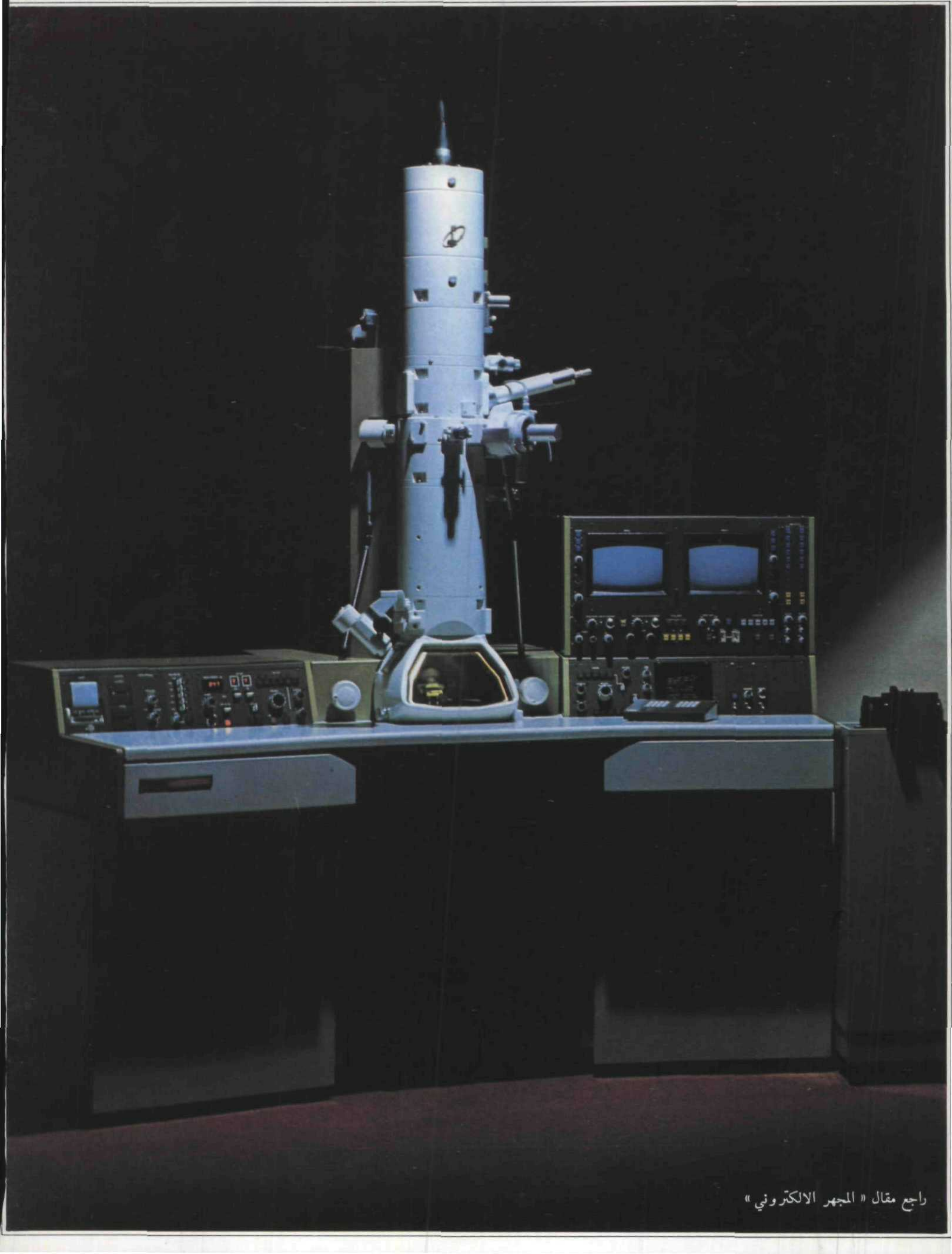
(٩) رشيد الدين ، جامع التواريخ ، ج ١ ، ص / ٣٨٢ — ٣٨٣ ، أنظـــر أيضاً مـــا قاله الأستاذ الدكتور ج . أ . بويل ، في مقالته في الحاشية السابقة ، حيث نقل عن الترجمة ومطبعة الروسيتين لكتاب رشيد الدين المذكور ، والتي قام بها « سمبرنوفا » طبعة ، موسكو ولننغراد ، ١٩٥٢ م ، ص / ٢٢٩ — ٢٣٠ .

(١٠) أنظر ما كتبه الأستاذ بويل بهذا الخصوص « طقوس الصيد في آوراسيا » ، فلكلور ٨٠ ، ١٩٦٩ م ، ص . ص/١٢ — ١٦ . أنظر أيضاً المرجع السابق ، نفس الجزء والصفحات .

(١١) ماركو بولو ، « وصف العالم » ، ج ١ / ص / ١٦٩ نقلا عن اسبولر ، « تاريخ المغول » ، ص/١٧٣ .

(١٢) أنظر ما قاله في هذا الشأن ماركوبولو ، « وصف العالم » ج ١ / ص/١٦٩ ( نقلا عن اسبولر ، « تاريخ المغول » ص/١٧٣ .

(١٣) الجويني ، جهانكشاي ، ج ١ / ص . ص ١٩ — ٢٢ ، الترجمة الانجليزية ، ج ١ /ص . ص ٢٧ — ٣٠ . أنظر أيضاً : وليم الربركي ، « رحلة وليم الربركي » تحقيق دوسون « البعثة المغولية » ص . ص/١٠٠ — ١٠١ .



راجع مقال « المجهر الالكتروني »



هذه اللوحة بريشة الطفلة أساوين مالنبوت
مدرسة منارة جدة الأولى .